

هيئة كتاب التاريخ

سلسلة الموسوعة
التاريخية الميسرة

مقاومة المدن العربية للفرقة

صور ونماذج

د. عبدالجبار ناجي



سرمد حاتم شكر السامرائي

۴. سیرۃ احوال و شجرہ

دارالكتبون الثقافية العامة

بغداد ۱۹۸۸



طباعة ونشر

دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية،

رئيس مجلس الإدارة :

الدكتور محسن جاسم الموسوي

حقوق الطبع محفوظة

تعتون جميع المراسلات

بإسم السيد رئيس مجلس الإدارة

العنوان :

العراق - بغداد - اعظمية

ص . ب . ٤٠٣٢ - تليكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

هيئة كتابة التاريخ

سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة

مقاومة المدن العربية للفزاة

صور ونماذج

د . عبد الجبار ناجي

الطبعة الاولى - لسنة ١٩٨٨

الفصل الاول

المدينة العربية / التحدي والاصالة

قد يتبادر الى ذهن المرء في بداية الحديث عن هذا الموضوع سؤال حول كيفية وقوف المدن - بشكلها المجرد - عربية كانت أم غير ذلك ، في وجه المعتدين ومقاومتها لجميع مخططات الفزاة والطامعين الاجانب ؟ وهو امر يدعونا الى توضيح ماهية المدينة ، والمدينة العربية بوجه خاص ، وتحديد معانيها .

فالفرييون ، مثلا ، يعلقون اهمية كبيرة على ما وضعه علماء الاجتماع من تحديد وتعريفات للمدينة في دراساتهم المتعلقة بحقل التمدن Urbanization

وعلماء الاجتماع بطبيعة الحال قد انطلقوا من زاوية علم الاجتماع الانساني والعمراني . ولذلك فإنهم عزوا مثل هذه التحديدات الى التفكير الغربي متغافلين عن مسألة جوهرية هي ان العلماء واللغويين العرب هم ايضا قد

اهتموا بهذا المجال وسبقوا علماء الاجتماع الغربيين في توضيح الاسس العلمية للمدينة من الزاوية التراثية الانسانية والمكانية والقانونية . وهي امور يجد المرء لها مقابلات معاصرة .

فالمدينة عند علماء الاجتماع الغربيين تعني ذلك المكان الطبيعي للفرد المتمدن المتحضر ، وهي ايضا يقصد بها تلك الرقعة المحددة من الارض ، ويضاف الى هذا التحديد الجغرافي البحت عنصر اقتصادي اذ تكون فيه المدينة ذلك المكان المستقر الذي ينشغل اكثر ساكنيه او شاغليه بمزاولة انماط انتاجية غير زراعية اي بمعنى تمييزه عن القرية (او الريف) بالنمط الواحد في الانتاج وهو الزراعة ، كذلك فان بعض علماء الاجتماع قد نظر الى تحديد معنى المدينة من زاوية الكثافة السكانية فالمقصود بها المكان المحدد من الارض الذي يجتمع فيه الناس من مختلف الاجناس شريطة

ان تكون نسبة تجمعهم كثيفة (١) .

واذا ما وضعنا هذه التحديدات المعاصرة للمدينة مع ما شخصه العلماء العرب من خصائص وعناصر للمدينة العربية فاننا سنصل الى نتيجة مفادها عمق تفهمهم لهذا الموضوع . ابتداءً فان المعنى اللغوي لكلمة (مدن) في المعاجم اللغوية هو المكان الذي يجتمع فيه الناس ، وعلى هذا الاساس فان المدينة عند الجوهري والفيروزابادي وابن منظور والزبيدي وغيرهم تعادل الامة . وضمن هذا الاطار

التحليلي فان المدينة عند الفقهاء العرب المسلمين يقصد بها « وطن مجتمع المنازل » وهو تعبير واضح يهدف الى ابراز عنصر الاستقرار الاجتماعي ، وانه يعد ايضا شرطا لازما ، اي اجتماع المنازل فيه . علاوة على ذلك فقد وضع الفقهاء شروطا اخرى لاضفاء صفة الشرعية التمدنية لهذا الوطن المجتمع المنازل منها : - ان يضم فيه من تنعقد به صلاة الجمعة ؛ وان لا يظعن او لا يرحل عنه اهله صيفا وشتاء ؛ وان يحل فيه امير المؤمنين ؛ وان تجبى اليه الاموال (٢) . وغيرها من الشروط الاساسية الدقيقة .

اذن فان تحديد معنى المدينة وفقا لمنظور الفقهاء واللغويين هو المكان الذي تقطنه كثافة سكانية مستقرة ، وهو امر ينقلنا الى جانب حيوي اخر له علاقة بموضوع اصالة التفكير التمدني عند العرب ، ان بعض اللغويين العرب قد قدم تحديدا اخر له اهميته المعاصرة ، فالحضارة لغويا تعني الإقامة في الحاضرة او الحضرة اي المدينة (٣) ، لهذا صارت المدينة وفقا لهذا المفهوم تقابل الحضارة لغة ومضمونا ، كما انها تعادل الامة شمولا . وحول هذه المسألة يدلي ابن خلدون بآراء طريفة اذ يقول ما نصه :

« ان البناء واختطاط المنازل انما هو من منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف والدعة » (٤) .

فقد ابرز ابن خلدون في هذا النص الصلة بين المدينة وبين ان تكون حاضرة وحضارة من جهة وبينهما وبين الامة من الجهة الاخرى ، فالمدينة تحتوي على كل مظاهر

الترف من بناء وعمران وخطط . وفي هذا الصدد يقول
ايضا :

« فالمدن والامصار ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء
كبير » (٥) .

المهم ان العرب قد حددوا ، في هذه الحالة ، المعنى
المادي للمدينة بما فيه البناء والخطط والعمران
الضخم ، والمعنى الانساني بما يشير اليه تحديد الوطن
الذي يجتمع فيه الافراد وهي الحضارة وهي الاممة .
وبذلك يعبر ابن خلدون عن الحاجة الماسة لوجود المدينة
من الناحية الحضارية اذ يقول :

« اعلم ان المدن قرار تتخذها الامم عند حصول الغاية
المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتتوجه
الى اتخاذ المنازل للقرار » (٦) .

كذلك فان اتخاذ العرب للمدينة لا يعكس جانبا فرديا ،
صحيح ان هناك عدة مدن عربية قد اتخذت او قاسمت
لاسباب شخصية وبانها مدينة الخليفة الفلاني او الامير
الفلاني ، لكن هذه المدينة لا تعني شيئا الا عندما يشغلها
الناس . فالخليفة العباسي ابو جعفر المنصور مثلا عندما
فكر في اتخاذ الكرخ شجع اهالي بغداد المدورة واصحاب
الكاكين والمحلات في اسواقها الى الانتقال وذلك بمسند
تهيئته الاسواق والمحلات مجانا او بايجارات (٧) رمزية ، وان
« الخليفة الاموي في الاندلس عبدالرحمن الناصر شجع اهالي

العاصمة قرطبة الى الانتقال عندما فكر في بناء مدينة الزهراء التي كانت تقع الى الشمال الغربي من قرطبة . انه اسس الزهراء لكي تكون قصراً له . فهي لم تكن في بداية الامر مدينة لكن الخليفة كما يقول ابن حوقل « اجتلب لها العامة بالرغبة وامر مناديه بالنداء في جميع اقطار الاندلس : الا من اراد ان يبني داراً أو أن يتخذ مسكناً بجوار السلطان فله من المعونة اربع مائة درهم » عندئذ فقط سارع الناس الى اتخاذ الدور وبناء العمارة في الزهراء والانتقال اليها فتكاثف اهلها الامر الذي جعل ابن حوقل يعقب على هذه المرحلة اذ قال « فتكاثفت الابنية وتزايدت فيها الرغبة » (٨) . كذلك الحال بالنسبة الى مدينة الحجاج ، واسط ، ومدينة المعتصم ، سامراء ، ومدينة ابن طولون ، القطائع ، ومدينة ابي عبيد الله المهدي ، المهدية وغيرها من المدن الشخصية . اذن فالمدينة الفردية لا قيمة لها دون اجتماع الناس ، وعلى هذا الاعتبار يرى ابن خلدون بان المدن والامصار « موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج الى اجتماع الايدي وكثرة التعاون وليست من الامور الضرورية للناس التي تعم بها البلوى حتى يكون نزوعهم اليها اضطراراً بل لابد من اكرامهم الى ذلك » (٨ب) .

ومما يجدر ذكره بان الاهتمام الذي ابدناه في الفقرة السابقة في اراء ابن خلدون بشأن المدينة العربية لا يعني انه يمثل التفسير العربي للمدينة بصورة عامة ، انما الصحيح انه يمثل جانباً من الفهم العربي للمدينة او لنقل

انه تفسير لنوع واحد من الانواع المتعددة للمدينة . اذ ان تفسير ابن خلدون ينطبق على المدن السياسية ، تلك المدن التي يلعب العامل السياسي دوراً حاسماً في تأسيسها . غير ان العلماء العرب من الجانب الاخر قد وضعوا تحديدات وشروطاً ومستلزمات لاصناف اخرى كمدن الموانئ او المدن التجارية والمدن العسكرية ومدن الامصار ومدن الحصون ومدن القصبات او مدن العواصم ومدن الثغور ومدن القصور بمعنى المدن التي بنيت كمتنزهات . الخ من المدن . ان هذا الحديث لامجال لدراسته هنا لانه خارج نطاق البحث ، غير ان بالامكان القول بان العرب قد وضعوا في هذا المجال ركائز ، علم التمدن ، ذلك العلم الذي صار خطأ ينسب الى الغربيين في الوقت الراهن .

فالاوربيون يفخمون كثيراً الخصائص الخمس التي وضعها ماكس ويبر^(٩) Weber ويشيدون بها في تحديد ماهية المكان وفيما اذا كان مدينة ام قرية ام مدينة صغيرة . وحاول بعض اولئك الغربيين ومن بينهم بعض المستشرقين ان يطبقوا هذه الخصائص او بالاحرى القوانين الخمسة لماكس ويبر على المدينة العربية الاسلامية وفيما اذا كانت مدينة بحق تمتلك هذه الخصائص ام لا . وهي عملية تشدد بها اولئك بهدف التقليل من دور المدينة العربية والتشكيك في الفهم العربي للمدينة ، اذ اجمعوا على ان المدينة العربية غير اصيلة ولا تمتلك بعض خصائص ماكس ويبر ومن بين ذلك :- عدم توفر العدالة في المدينة

العربية ، وعدم توفر المؤسسات • وهو موضوع قد وقفنا عليه في بحوث مستقلة ووصلنا الى نتيجة مفادها ان خير دليل على ان العرب كانوا يرون بان المدينة هي المجتمع الذي تتجلى فيه العدالة ارجاعهم اصل كلمة مدينة الى (دين) التي تعني ، وفقاً لما عرضه المعجميون العرب ، الملك والتملك او الحكم ، وان الحديث النبوي الشريف الذي يرد فيه تعبير « انا الملك الديان » (١٠) والحديث الشريف الآخر « يا مالک الناس وديان العرب » (١١) تعكس ارتباط كلمة الدين والديان والمدينة بالملك والحاكم والعدالة والعاقل • وفوق كل هذا فان الفقهاء العرب يرون ان من خصائص المدينة الاساسية ان يحلها امير المؤمنين او او السلطان بمعنى المؤسسة الادارية التي تطبق مبادئ العدالة الاجتماعية • كذلك فان هناك عدداً من الدراسات قد ابرزت وجود مؤسسة النقابة في المدن العربية (١٢) ، وان هناك تسلسلا نقابيا ومهام بارزة لنقابة كل مهنة من المهن • كل هذه ادلة تبين بجلاء حقيقة تخالف ما شدد عليه بعض المستشرقين وعلماء الاجتماع •

مقاومة المدن العربية بين النظرية والتطبيق :

وعلى اعتبار ان المدينة العربية تعادل الحضارة ، والحضارة العربية على وجه التحديد ، فانها قد واجهت تحديات عديدة لا تنحصر في المجالات السياسية والعسكرية انما تمدتها الى الجوانب الاجتماعية والفكرية والحضارية • وكما ان هنالك تحديات متعددة قد شكلت خطراً على

المدينة العربية واصالتها ووجودها فان هذه التحديات والمجابهات لا تقتصر على فترة تاريخية دون اخرى ، اذ ان المدينة العربية القديمة مثلاً قد واجهت تحديات الغزو والعدوان مثلما واجهته مدن العراق القديم ومدن بلاد الشام ومدن اليمن السعيدة منذ تاريخ قبل الميلاد . وما شهدته من مدن بابل وأور وأشور من حملات عسكرية عدوانية وغزو وحصار من قبل قوى عدة كالكوتيين واليلاميين والاخمينيين ، وكذلك ما شهدته مدن تدمر والبتراء من عدوان وتحدي بالغزو من جانب الرومان ، وما شكلته الحملات العسكرية القوية التي شنت على مدن اليمن السعيدة كمدينة مأرب ومخا وعدن من قبل الرومان في حملة اليوس كاليوس وحملات الاحباش ، وما شهدته مدينة مكة من حالات الغزو والحصار في حملة الاحباش العسكرية بقيادة ابرهة . كل هذه المؤشرات تؤكد ان المدينة العربية ، ولانها رمز الحضارة المبدعة ، قد تعرضت الى مثل هذه التحديات العسكرية والسياسية التعسفية .

ومن جانب آخر فان المدينة العربية ، كمفهوم وكائن حضاري قد واجهت تحديات فكرية ، تماماً كما واجهت الحضارة العربية عموماً مثل هذا التحدي ؛ أنها حضارة اصيلة ام مقلدة ؟ وهو تحدي عبر عنه المستشرقون غير المنصفين الذين حاولوا افراغ الحضارة العربية من اصالتها وجدتها وفاعليتها . ان هؤلاء وجدوا انفسهم امام مركز الحضارة العربية ، المدينة الكيان المادي والانساني للحضارة فتناولوها بالدرس

والتنقيب سواء أكانت تلك المدينة عراقية ام سورية ام في مصر ام في المغرب العربي هادفين من وراء ذلك الى افراغها ايضا من عناصرها الحضارية الاصيلة . فادعوا بانها مدينة مقلدة ، ورأى البعض انها مدينة مقلدة للمدينة الهلينية بينما رأى اخرون انها مقلدة للمدينة الرومانية (١٣) . ان هذا التقليد ، كما ادعوا ، لم يقتصر على جانب دون آخر ، فالسوق في المدينة العربية او البازار هو تقليد لما معروف في المدن الرومانية بـ Colonnaded Avenue والقيصرية او القيسارية التي تميزت بها بعض المدن العربية كمدينة حلب والفسطاط والقاهرة تقليد للباسليطا الروماني . والمسجد الجامع الذي يعد سمة مميزة للمدينة العربية الاسلامية وما حوله من الرحبة اللذين يقعان في وسط المدينة ان هو الا تقليد للمعبد في المدينة الهلينية ، وان الحمام الذي كان من الوحدات الطبوغرافية الملائمة في المدينة العربية الاسلامية ان هو الا تقليد للثرما الحمام اليوناني القديم (١٤) .

كذلك فقد شدّد هؤلاء الاجانب على التركيب الاجتماعي والبنية الاجتماعية للمدينة العربية ، فرأى البعض منهم بان بنية المدينة قبلي بحث لذلك فانها على عكس المدينة الرومانية لا تعكس روحا تمديدية متطورة فالتوزيع الطبوغرافي جامد نتيجة لذلك التكوين ، ورأى بعض آخر ان المدينة العربية تفتقر الى عنصر المواطنة فالفرد العربي لا يحمل تعاطفا او حبا لوطنه او لمدينته التي قطنها واتخذها (١٥) مسكنا ، وفي هذا الحقل فان بعضهم

قد سلط الاضواء على العناصر غير العربية ودورها في
البنية السكانية للمدينة .

ان هذه المجابهات والتحديات الفكرية هي التي تفرض
علينا ضرورة الوقوف على تحديد مفهوم المقاومة ! اذ ان
المقاومة ذات اشكال وانماط عديدة سواء اكانت المقاومة التي
وقف فيها اهالي المدن العراقية القديمة ازاء الاعتداءات
المتكررة وعمليات الحصار المتعددة التي فرضها الفرس
وغيرهم عليها ، ام المقاومة التي عبر عنها العرب المسلمون
بوقوفهم سياسيا وفكريا وحضاريا في وجه التحديات التي
واجهوها او التي واجهتها مدنهم ، ام مقاومة المدن العربية
القديمة والحديثة ازاء غزوات واعتداءات الاجانب .

المقاومة هنا تعني الوعي الحضاري لسكان المدن
العربية او غيرها ازاء جميع انواع التحديات وكيفية
الوقوف بوجهها وصددها ، فهي مقاومة سياسية وعسكرية
 واجتماعية وعمرانية وحضارية . فهل كان هناك وعي
واقعي للعرب عندما اسسوا المدن ازاء تحديات المستقبل
وما يمكن ان تواجهه مدنهم من عدوان او غزو ؟ وهل فكر
مؤسسو المدن العربية بمثل هذه التوقعات وكيفية
مجابتها ؟ ان هذه الاسئلة وغيرها تتطلب بحثاً في
الاسس والمستلزمات التي وضعها مؤسسو المدن العربية
واهاليها في هذه المجالات ، فهم :-

أ - كانوا يفترضون مسبقاً جملة مستلزمات عسكرية محددة ، ويراعونها عند اتخاذ المدينة بهدف إشاعة الأمن فيها من أي غزو أو عدوان خارجي .

ب - التفكير في الجوانب الاستراتيجية-العسكرية، لاسيما تلك التي تتعلق بصعوبة الوصول إلى المدينة وحصانتها بما تمتلكه من مزايا جغرافية طبيعية أو بتحصينها وبناء أسوار وتحصينات حولها .

ج - تهيئة المستلزمات الداخلية للدفاع عن المدينة في حالات الهجوم أو العدوان بما في ذلك تشكيل فرقة من الحرس أو الشرطة تأخذ على عاتقها هذه المسؤولية .

د - التفكير في اتخاذ التدابير الاقتصادية اللازمة إذا ما كان في المدينة حصن أو قلعة لكي تكون ملجأً أو ملاذاً حصيناً آمناً تتوفر فيه عوامل الانتاج الذاتي .

هـ - من دراسة النماذج العديدة لمقاومة أهالي المدن العربية للغزاة يجد المرء أن الأهالي كانوا يقفون بصبر وشجاعة وتحد أمام حالات الغزو أو الهجوم أو الحصار .

و - الوقوف ازاء الحملات الفكرية المفروضة
(الشعوبية) والتصدي لها ، لاسيما تلك
التي تحدث في حالات الحصار العسكري
طويل الامد .

ز - وهناك مقاومة من نوع آخر يتجلى بتركيز العرب
قادة ومقاتلين على الجوانب التراثية العربية
الاصيلة عندما اسسوا المدن في المشرق (بلاد
فارس ، وغيرها من اقاليم المشرق) او في
الاندلس . انه تعبير عن مقاومة حضارية
عمرانية .

هذه الامور وغيرها هي التي ستكون محاور اساسية
في الدراسة لتحديد عناصر المقاومة ضد الغزاة والطامعين .
لكن لابد لنا في البدء ان ناتي الى ذكر قول مهم لابن
خلدون في هذا الصدد ، اذ يقول انه طالما كانت المدن
والامصار مكانا « للقرار والمأوى وجب ان يراعى فيه دفع
المضار » (١٦) ، فاختيار ابن خلدون تعبير « دفع المضار »
يكشف بوضوح عنصر المقاومة في اتخاذ الحيطة ضد
العدوان ، ويستمر ابن خلدون في هذا المجال فيقول
« دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل
المرافق لها » (١٧) . انه هنا يبين ما للمقاومة واتخاذ الحيطة
من نتائج سلبية وايجابية ، فهي ستكون سدا واقيا
للمدينة في دفع عوامل الغزو والعدوان وهي في نفس

الوقت ستجلب النفع المادي لاهاليها ، بما يشمل ذلك من تأمين طرق التجارة والمواصلات الواردة الى المدينة او الخارجة منها ، وكذلك توفير شروط السكن الآمن من مياه شرب وانتاجات اقتصادية ذاتية . ويفصل ابن خلدون هذه الجوانب تفصيلا واقعيا وذلك عن طريق ابراز الكيفية التي يدبغ فيها مضار الغزو فيقول « فاما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها جميعا سياج الاسوار وان يكون وضع ذلك في متمنع من الامكنة اما على هضبة متوعدة من الجبل واما باستدارة بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها بعد العبور على جسر او قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها » (١٨) . كما ان هناك شرطا اخر يساعد في تسهيل عنصر المقاومة وحماية المدينة من خطر العدوان ، وهو كما يذكر ابن خلدون :

- أ - فالمدين التي تقع على ساحل البحر ينبغي ان يراعى في تأسيسها باتخاذها على جبل .
- ب - تكون بين امة من الامم مرفورة المدد .

فاذا ما توفر ذلك يكون « صريحا للمدينة متى طرقها طارق من العدو » (١٩) ، ويحلل ابن خلدون هذه العلاقة الجدلية بين وفرة السكان وبين عنصر المقاومة العسكريه وحماية المدينة من اي غزو بحري فيقول « والسبب في ذلك ان المدينة اذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها

عمران للقبائل اهل العصبية ولا موضعها متوعر من
الجبل كانت في غرة للبيات وسهل طروقها في الاساطيل
البحرية على عدوها . (٢٠)

ان تلك الاجراءات الاحترازية الوقائية التي صرح
بها ابن خلدون تتعلق ، كما مر ذكره ، بصنف واحد من
اصناف المدن العربية ، اي المدن التي تقع على السواحل
اذ تكون عرضة لهجمات الطامعين والغزاة من الجسائب
البحري . وهي ان دلت على شيء فانما تدل على اهتمام
مؤسسي المدن العربية بالتوقعات السياسية - العسكرية
المستقبلية التي تشكل خطورة على مدنها . ولهذا فانهم
شدوا على اتخاذ التدابير اللازمة لدرء هذه الاعتداءات
واحباط مخططاتها . وهي قاعدة تنطبق ايضا ، كما
سنرى في الصفحات الآتية ، على باقي اصناف المدن
العربية .

ان الافكار التي تم طرحها في هذا الجزء تشكل دليلا
قويا ضد اراء عدد من المستشرقين وعلماء الاجتماع الغربيين
التي تحاول ، مفرضة ، ان تصنف العرب بانهم كانوا غير
مدركين للتوقعات المستقبلية عند اتخاذهم العواصم او
المدن بصورة عامة ، ولذلك ، حسبما راوا ، لم تستطع
الصمود والمقاومة ازاء التحديات مهما كانت سياسية ام
جغرافية ام اقتصادية . ان مثل هذه الراء ، واعتمادا على
ما فصلناه سابقا ، تبدو ضعيفة لان المدينة العربية تتمتع
باصالة حضارية عريقة وانها لم تؤسس لتكون مدنا مرحلية
مؤقتة تبعا لظروف وعوامل تأسيسها .

الفصل الثاني

مقاومة المدن العربية للغزاة

أ - المدينة العربية القديمة :

كما تقسم ، فان المدينة العربية تعد العنصر الاساس الذي تتكون منها الحضارة العربية . والمعروف ان اصول وجذور هذه الحضارة التي خدمت الانسانية قديمة جدا . تتصل بحضارات وادي الرافدين المعطاء وحضارة وادي النيل . تلك الحضارات التي قدمت انجازات انسانية هائلة للعالم ، لليونان والرومان والمجتمعات الشرقية . من هنا يكون من البديهي القول بان المجتمع العراقي القديم مثلا لم يكن مجتمعا ريفيا او قرويا ، باعتبار ان الحضارة هي المدينة والعكس صحيح وان عطاءات الحضارة اية حضارة هي احدى انجازات المدينة ، والمكان المستقر حيث يتجه شاغلوه الى الانخراط في العمل في انماط انتاجية متنوعة غير زراعية كالتجارة والصناعة والعلوم المختلفة .

وما من أحد لم يدرك الدور الذي لعبه العراق وبلاد الشام ووادي النيل في هذه المجالات الحضارية ، فالمؤلفات الكثيرة والمكتشفات الاثرية المادية الضخمة تعكس باسهاب الدور الحضاري الفعال للفرد العراقي والعربي في علاقاته مع من يجاوره تجاريا وفكريا وحضاريا . ان هذا التاريخ العريق يبرز في آن واحد قدم الاستقرار في المدن والحواضر في هذه المجتمعات العربية القديمة .

فالتاريخ العربي القديم يبرز بوضوح دور المدينة في المجالات السياسية والحضارية والاقتصادية ، اذ ان هناك دولاً واسراً بل امبراطوريات واسعة وانظمة سياسية في بلاد وادي الرافدين ووادي النيل والغرب قد اشتهرت باسماء مدنها ومراكزها الحضرية فحملت اسماءها واتصفت بها امثال سلالة لارسا وسلالة اوما وسلالة لكش وسلالة ايسن وسلالة اور وسلالة الوركاء وسلالة بابل وغيرها من الدول والانظمة التي عرفت اصلا في التاريخ العراقي القديم بدويلات المدن السومرية ، وهي في الحقيقة تشير الى النواة المركزية التي تشكلت حولها تلك الدولة او ذلك النظام الا وهي المدينة . في الوقت نفسه فقد اشتهرت في اوربا ، عند اليونان والرومان ، امبراطوريات ودول باسماء مدنها او مراكزها الادارية كامبراطورية اثينا ودولة اسبارطة وامبراطورية روما . ومن الجانب الاخر فان هناك عدة مدن عربية قديمة في وادي الرافدين ووادي

النيل قد اكتسبت شهرة عالمية موازيه لشهرة الدول والامبراطوريات التي اتخذت من تلك المدن عواصم ادارية او مراكز ادارية كمدينة اور وبابل واشور ونيوي ومنفيس وطيبة التي صارت عاصمة في مصر أثناء عهد الامبراطورية (٢١) .

وعلى الرغم من ان العوامل السياسية قد اسهمت كثيرا في رقي تلك المدن القديمة وبلوغها تلك المكانة العالية من التقسم والشهرة وانها مدن عواصم لامبراطوريات كبيرة ، غير اننا ينبغي علينا ان لا نفعل اثر عوامل اخرى او نقلل من حجمها ، فالعوامل الدينية قد ساعدت بشكل او باخر على نشوء وتطور مدن المعابد ، والعوامل الاقتصادية بما في ذلك زيادة حجم العلاقات التجارية بين الدول القديمة قد ساعدت على بروز وتطور مدن التجارة .
فالمعروف ان زيادة حجم التجارات شجع الاهتمام بطرق

النقل والتجارة المحلية والعالمية وساعد هذا بدوره على نشوء وتطور مدن الموانئ ، مما يجدر ذكره ان هناك عدداً من المدن ودويلات المدن قد نمت وتطورت اعتماداً على

العوامل الاقتصادية والتجارية .

دون شك فان ارتفاع شأن تلك المدن القديمة في حضارات وادي الرافدين ووادي النيل واليمن السعيدة وبلاد

الشام وغيرها من الدول العربية القديمة واتخاذها عواصم ومراكز ادارية لامبراطوريات ودول ذات نفوذ سياسي واسع قد هيا لها تربة معطاء في جوانب حضارية عديدة سواء اكان ذلك في الجوانب العالمية البحتة ام في مجالات التقدم الصناعي اليدوي والتجاري ام في الجوانب العمرانية بما اشتملته من رقي عمراني وفني وهي امور تشهد بها ما تبقى من آثار مادية لهذه المدن . لذلك صارت مطمح انظار الطامعين والغزاة فدبروا المحاولات السياسية والعسكرية بهدف السيطرة عليها وضمها الى مناطق نفوذهم . ويحدثنا تاريخ العراق القديم عن سلسلة من هذه المحاولات والاعتداءات التي شنتها اقوام ترجع اصولها الاثنولوجية

الى المنطقة الواقعة الى الشرق من العراق ، بلاد فارس وشمال شرقيه في منطقة همذان وجبال زاغروس امثال الكوتيين والعيلاميين والاخمينيين ، والساسانيين . كذلك ما شهدته مدن مصريه قديمة من آثار الغزو الاخميني زمن قمبيز ودارا الثاني وما عانتها من عواهل الغزو اليوناني الببلييموسي ، وما واجهته بعض مدن بلاد الشام والجزيرة الفراتية من آثار الغزو اليوناني والروماني .

ان مدنا عريقة كمدينة أور ، تلك التي شكلت نواة مركزية لسلالات ودويلات ، المدينة التي كشفت التنقيبات التي جرت فيها عن ضخامة في الارث الحضاري العربي بما

مثلته الزقورات والمعابد والاسوار من رقي في فن العمارة
وما دلت عليه النفائس الفنية السومرية التي تم العثور عليها
ان مدينة عراقية معطاء مثل هذه قد تعرضت لاطماع الغزاة
بقصد احتلالها واذلالها . ففي نهاية الالف الثالث ق.م
الميلاد ، ابراز حكم سلالة اور الثالثة قبل الميلاد ،
توجهت اقوام فارسية بحملة عسكرية قوية
ضد اور مستغلة اضطراب الاوضاع السياسية داخل
العراق على اثر انتهاء دور الامبراطورية الاكدية . وفرض
الكويتيون ، وهم من القبائل الهمجية التي جاءت من اواسط
جبال زاغروس في منطقة همذان ، حصارا شديدا على
المدينة العاصمة اور . وقد استمر هذا الحصار مدة ،
قاسى خلاله اهالي العاصمة المتاعب والشدائد . ومع ذلك
فانهم عرضوا مقاومة فذة ولم يستسلموا لهذه الشدائد
دون تضحيات جسيمة . اذ دخل الكويتيون المدينة
وسيطروا عليها مدة قصيرة الحقوا بالاهالي صنوف الاذى
والعنف والقسوة والارهاب ، فخرّبوا معالمها الحضارية
والعمرائية ، وقتلوا ابناءها من النساء والاطفال والشيوخ
وهدموا معابدها . وبرزت احدى المراثيات من الشعر
العراقي القديم حالة المعاناة التي عاشها اهالي المدينة وهم
محاصرون داخل مدينتهم . ان قراءة متمعنه لهذه المراثية
تبين بوضوح صورة المقاومة والحماس والارادة والتصميم
في دفع الغزو والتخلص منه ، كما تعكس تلك العلاقة
الصحيحة وذلك الحب من جانب الاهالي لمدينتهم ، فقد

جاء فيها :

ايتها المدينة ذات الاسم الشهير لقد هدموك
ايتها المدينة ذات الاسوار العالية قد ابعدت ارضك
انكش - لو كال بيت مليكي قلعوه من دون ان يتركوا
له أثراً مثلما تقلع الخيمة من مكان الحصاد
والدماء قد اريقت مثلما ينصب النحاس المنصهر (٢٢)

والهم فان هذا الفوز لم يشن من عزيمة العراقيين ،
اهالي العاصمة اور ، اذ اسهمت مدينة الوركاء بثورة
كبيرة مظفرة بقيادة اوتوحيكال الملك السومري الذي اخذ
على نفسه مهمة دفع الغزاة ومحاربتهم ، فكان النصر
والقضاء على آخر ملك من ملوك الكوتيين [تريقان] فعادت
مدينة اور لتكون عاصمة مرة اخرى لسلالة أور الثالثة (٢٣) .

وواجهت المدينة العراقية العريقة الاخرى بابل ، تلك
المدينة التي ذاع صيتها حتى صار اسمها يشير الى تسمية
عامة للمراق القديم Babylonia : وان ما بقي من

اثارها المادية في الوقت الحاضر يمس بجلاء ضخامة
الحضارة البابلية وفعاليتها في فن البناء والطرز المعمارية
والتنسيق الفني لخطتها علاوة على ما اشتملت عليه المدينة
من حركة علمية ونشاط وازدهار تجاري واقتصادي . لقد
اكتسبت بابل هذه الشهرة لكونها عاصمة لامبراطورية
متراامية الاطراف اخذ ملوكها على عاتقهم مسؤولية تحرير
الكثير من الاجزاء التي كان الاجانب يسيطرون عليها . من

هنا فقد توجهت اطماع الاقوام الفارسية نحوها فشنوا الحملات العسكرية محاولة منهم في احتلالها وضمها الى مناطق نفوذهم ؛ بالرغم من انهم ، اي الاخمينين ، قد انتفعوا كثيرا من عطاءات المدينة بابل ومن الحضارة البابلية . لقد احتبل الاخمينيون بقيادة ملكهم كورش الكبير الظروف السياسية والاجتماعية الداخلية السيئة في مدينة بابل والعراق لتحقيق مآربهم . وكان هذا الملك ، منذ بداية تسنحه السلطة ، طموحا واسع الخيال واتسعت احلامه التوسعية بعد أن صار ملكا على بلاد فارس والمآذيين ان يمد نفوذه السياسي الى بلاد الهند شرقا وبحر ايجه غربا والبحر العربي جنوبا (٢٤) .

وقد اغاضت كورش الكبير الاصلاحات التي قام بها الملك البابلي نبونheid [اونابونيد] ، ، وهي اصلاحات دينية وسياسية واجتماعية كانت ابعادها ، كما يعتقد مؤرخو التاريخ القديم ، قومية . لذلك دخل كورش في محالقات سياسية مع اليهود الموجودين في بابل لتحقيق مآربه ، فشن هجوما واسعا على المدينة بين شهر ايلول وتشرين الاول من سنة ٥٣٩ ق . م ، وعبر نهر الجندز [نهر ديالى] ، كان عبوره في المرة الاولى فاشلا وقد عزى الى عدم معرفته باحوال نهر ديالى ، غير انه ربما ايضا يعود الى ما واجهه من مقاومة عنيدة ، لذلك قام بمحاولة جديدة . عمل من اجل تأمين الوصول ، خنادق عديدة

بهدف تحويل مجرى النهر . وبعد ان امضى فصل الصيف
فى اكمال هذه الخطة الاستراتيجية هاجم اسوار المدينة ،
وقد تحصن اهل بابل خلف اسوار المدينة الحصينة

وقاوموا الهجوم . وبعد حصار قصير تمكنت جيوش
كورش بمساعدة داخلية من اليهود من دخول المدينة (٢٥)
واحتلالها .

لكن المدينة واهلها لم يذعنوا لسطوة كورش واحتلاله
اذ ظلوا يتربصون الفرص لطرده ومقاومة الجيش الغازي .
اذ تشير الدلائل التاريخية الكثيرة الى انه بعد موت كورش

وفى عهد دارا الاول اعلن العراقيون ثورة عارمة بقيادة
زعيم قيل انه ينتمي الى الملك نبونهد ، واعلن نفسه
ملكا على بابل . ولقد دفعت هذه الثورة دارا الى ان يشن

هجوما على المدينة وفرض عليها الحصار ، لكن وحسبما
اورد هيرودتس المؤرخ اليوناني ، جوبه بمقاومة باسلة
استمرت حولين . كان الحصار شديدا لم يقو الاهالي
بالرغم من تضحياتهم على صد الغزو فاستطاع دارا دخولها
واحتلالها فى كانون الثاني - شباط ٥٢١ ق . م . ورافق
احتلاله للمدينة فرض صنوف من الاذى والتعسف والحقد
على اهالي المدينة حتى قيل انه قتل زهاء ثلاثة الاف من
اهالي المدينة (٢٦) .

ومع ذلك فإن مدينة بابل لم تستسلم ولم تدفع
نهائيا لسطوة دأرا وجبروته اذ تجمع الاهالي زمن الملك
احشويرش الاول فتزعموا ثورة كبيرة تهدف الى طرد
الغزاة هنا ايضا عبر احشويرش عن حقده وكراهيته
لاهالي المدينة والمدينة ذاتها فقام بتخريب معالمها الحضارية
ومعابدها وحصونها ونهب كنوزها وتراثها ومن ابرزها
تمثال الاله مردوخ النفيس ، كذلك خرب معبد اساكلا
وزقورته (٢٧) .



تبرز نماذج المدن العراقية القديمة التي وقفنا عليها
في الصفحات السابقة حورا من المقاومة لتحديات الغزو
السياسي والعسكري الاجنبي ، الغزو الذي كان ، كما
اتضح ، مدفوعا بدوافع الحقد الحضاري لما وصلت اليه تلك
المدن من مكانة بارزة في مضمار التقدم والرقى الحضاري .
والواقع ان دوافع الحقد الحضاري الاجنبي على المطامع
الحضارية العربية المتمثلة بالمدينة كانت عامة ، اذ
تعرضت مدن الجزيرة الفراتية القديمة ومدن مصر
ومدن اليمن الى تحديات الغزو للسياسي والعسكري . غير
انه بالامكان الاستنتاج بان ما جابهته المدن العراقية

القديمة والاسلامية والحديثة من تحديات الغزو العسكري
أكثر مما واجهته مدن عربية أخرى في اجزاء أخرى من
الوطن العربي ، ومن المحتمل ان اسباب ذلك يعود الى
الآتي :

أ - التجاوز الجغرافي والسياسي لمدن العراق مع
منطقة الشرق الواسعة ، التي كانت مهدا
مستمرا لتدفق الهجرات القبلية البربرية
ابتداءً من اواسط آسيا الى الهضبة
الايرانية . ووفقا لمنطوق الهجرة الحضارية فان
هذه الموجات المستمرة من القبائل البدوية
كانت تتجه صوب المناطق التي اتسمت بطابع
الاستقرار الحضاري . ولذلك صارت مدن
العراق وجها لوجه لזاء تحدي الموجات القبلية
البدوية .

ب - التقسم الحضاري الذي شهدته المجتمعات
المراقية القديمة المستقرة ، وقسم ظهور وتطور
سلالات وتكوينات سياسية متمركزة في
المدن والحواضر القديمة ، في المقابل كانت
لموجات البدوية القادمة من الاطراف الشرقية

لآسيا وهضبة ايران لا تمتلك مثل هذه المقومات الحضارية . لهذا نما شعور الحقبة الحضاري على الرغم من ان النحات البدوية عموما ابتداءً بالكوتيين، والعلاميين الى الاخمينيين قد اقتبسوا الكثير من المفردات الحضارية العراقية في فن السياسة وفن البناء والكتابة والادارة (٢٨) وغير ذلك . وعلى هذا الاساس تحملت مدن العراق القديم اكثر من غيرها اثار هذه العلاقات الحضارية غير المتكافئة .

٣ - الاطماع السياسية التوسعية : ان ذلك كان من الخطط الاساسية للتوسعات القبلية البدوية ، اذ امتدت اطماع بعض زعماء هذه القوى القبلية الى ابعد من العراق، كما يرى المرء على سبيل المثال اطماع كورش وابنه قمبيز ودارا والساسانيين وتوسعات الاسكندر الكبير ومن اعقبه على الشام ومصر وتوسعات الاحباش .

غير انه في مجال الحديث عن المدن العراقية القديمة فانه لم يكن هناك من مانع امام تحقيق هذه الاطماع السياسية غير المدن والدول القديمة في وادي الرافدين .

لذلك كانت مواجهة بصورة مباشرة لزحف القبائل
البلورية ، وكانت عرضة بشكل مستمر لتحديات الغزو
العسكري والسياسي .

لذلك كله فان وقوف المدن العراقية القديمة بوجه
الزحف القبلي القادم من الشرق ، هو في حقيقته انموذج
لمقاومة المدن العربية عامة . فالمعروف ان احتلال كوروش
الكبير لمدينة بابل مثلاً قد اعقبه زحف نحو مدن عربية
اخرى اذ تعرضت مدن بلاد الشام ومدن مصرية كمدينة
طيبة لحملاته العسكرية ، كما ان انحلال الاوضاع
السياسية في العراق ابان الاحتلال البارثي والساساني قد
اثر بصورة مباشرة على وضعية مدينة تلمر التي اشتهر
اسمها باسم دولة تلمر في اواسط الجزيرة الفراتية ، اذ
قامت مدينة تلمر (بالميرا) على امس تجارية كونها
محطة تجارية في طريق القوافل البرية . وبالفعل فقد
واجهت تلمر حملة عسكرية قادها سابور الاول ، وقف
اهاليها بشدة ضد هذا الغزو ، غير انه استطاع ان يسيطر
عليها ويضمها الى مناطق نفوذه ثم توجه بعد ذلك الى
مدينة انطاكية التي هي الاخرى قاومت زحفه لكنها وقعت
تحت سيطرته (٢٩) .

ان الرأي السابق ، بطبيعة الحال ، لا يعني ان المدن
العربية الاخرى لم تجابه تحديات الغزو السياسي
والعسكري الاجنبي لان عدة مدن عربية قد تعرضت الى

عدة محاولات واعتداءات . كانت تلك المدن تشكل النواة المركزية الادارية لدول عربية من امثال ، مارب عاصمة الغولة السبائية ، وتدمر والبتراء في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام ، ومعين عاصمة الغولة الحميرية ، ومدن عدن ومخا وغيرها من مدن الحميريين ومدينة مكة .

جميع هذه المدن واجهت تحديات الغزو العسكري الاجنبي ببسالة ، وهي مدن اشتهرت باسهاماتها الحضارية اذ تميز بعضها كمحطات تجارية في طريق القوافل البرية والبعض الاخر كمواني تجارية في طريق السفن التجارية البحرية عبر البحر الاحمر . والاهم من ذلك فان جميع هذه المدن قد شهدت تطورا ملموسا على صعيد التنظيم السياسي الداخلي والتنظيم الاجتماعي فضلا عن ما خلفته من انجازات عمرانية ملموسة يشهد بها تاريخ العرب قبل الاسلام ومازال بعضها ماثلا للعيان كالسدود والقصور والنقوش والكتابات كما هو الحال في البتراء عاصمة الانباط وتدمر ومدن اليمن . كما هو متوقع فقد توجهت اقطار واطماع الغزاة الاجانب نحو هذه المدن الغنية فكانت حملة اليوس كاليوس في سنة ٢٤ ق . م او ٢٥ ق . م على مدينة مارب ومدن يمانية اخرى انموذجا لمثل هذا التحدي العسكري ، اذ اندفع جيش روماني قوي بتشجيع من الامبراطور الروماني فاحتل عدة مدن يمانية كانت تقع على الطريق الذي سلكه نحو اليمن مثل مدينة نسا والبيضاء ومارب وكان الهدف الرئيس من وراء هذه الحملة

المسكزية الالنبية الاستحواذ على منابع الثروة في اليمن السعيدة ذات الانتاج الزراعي الغني في اللبان والمر والافاويه ، وقد عرفت تلك المدن برفاهية مجتمعاتها اذ كون التجار فيها نسبة عالية ، فهي اذن بلاد غنية ومدن منتجة لها جاذبيتها في المخططات التوسعية الرومانية . لقد فشلت هذه الحملة العسكرية المنظمة ، على اية حال ، وكان العامل الاساس في احباطها وقفة اهالي المدن اليمنية بوجه الغزو العسكري فعاد اليوس كاليوس يجر اثواب الخيبة والفشل بسبب المقاومة العربية للمدن اليمنية (٣٠) .

وفي الوقت نفسه فقد فشلت عدة حملات عسكرية جردها اباطرة يونان ورومان ضد مدينة البتراء ، اذ ارسل الاسكندر الكبير حملة عسكرية لغزو المدينة الواقعة شرقي الاردن والتي عرفت باهميتها التجارية والحضارية ، غير ان عرب المدينة وقفوا موقفا حازما ازاء الحملة فافشلوها ، لان من حسن حظ المدينة انها كانت تتميز بحصانة جبليية منيعة انتفع منها الاهالي في صد العدوان . ولم تتوقف الامبراطورية الرومانية عن محاولاتها فتجهزت حملة عسكرية اخرى بقيادة بومبي لغزو البتراء واحتلالها غير ان ملك البتراء العربي الحارث الثالث ومن ورائه اهالي المدينة عملوا بجهد وبسالة لصد الغزو ففشلت الحملة عسكريا .

لقد بقية مدينة البتراء العربية تقاوم الغزاة فكانت

السد المانع امام نجاح الرومان في الاستحواذ عليها الى ان جاء الامبراطور تراجان اذ افلح سنة ١٠٦م في ان يحتلها لما كانت تشهده المدينة من عوامل الضعف السياسي الداخلي (٣١) .

في مقابل ذلك واجهت مدينة تدمر ، مدينة القوافل ، تحديات سياسية عسكرية من جانب الساسانيين والرومان ، اذ شن كما مر سابقا سابور الاول حملة عسكرية بقصد ارضاخ المدينة والاستحواذ عليها ، كما ان الجيوش الرومانية ابان فترة حكم الامبراطور اورليان شنت هجوما على المدينة التي كانت انذاك تحكم من قبل الملكة العربية الزباء . وعملت هذه الملكة المشهورة على تحشيد صفوف اهالي تدمر للوقوف بوجه الزحف الروماني غير ان المقاومة لم تنجح نتيجة عدم توازن الطرفين عسكريا فاستطاع اورليان السيطرة على تدمر ، ثم تركها عائداً بعد ان خلف عليها حاكما رومانيا مع حامية عسكرية ، فانتهر اهالي تدمر هذه المناسبة لطرد الغزاة فاندلعت ثورة ضد الحاكم الروماني ونجحوا في انهاء فترة الاحتلال ، لكن الامبراطور اورليان جهز حملة عسكرية ثانية ضد المدينة التي وقفت باهاليها موقفا مقاوما للفرز . وفي نهاية الامر وقعت بايدي اورليان الذي دخلها وعاث فيها فساداً وتدميراً ونهباً (٣٢) .

كذلك فان مدنا عربية اخرى امثال مخا ميناء الدولة

الحميرية ومكة مدينة العرب المقدسة قد تعرضت الى هجمات الغزاة الاجانب اذ شن الاحباش عدة حملات عسكرية على اليمن وافلحوا في دخول مدينة مخا وتدمير معالمها . لكن اهالي اليمن وقفوا صفقا متراصا ضد الغزو الحبشي فافشلوا هذه الحملة ، وهي حملة الاحباش الاولى . ولم تمض ثلاثون سنة تقريبا حتى عاود الاحباش محاولتهم الاخرى في فرض سيطرتهم على مدن اليمن فجردوا حملة بقيادة ارياط ضمت بين صفوفها ابرهة الحبشي . لقد اظهرت مدن اليمن مقاومة قوية ضد هذا الغزو ، لكنها خضعت من جديد لاحتلال الاحباش ومع هذا فان هذا الاحتلال لم يشن اهالي ظفار والمدن الاخرى في تكثيف الجهود لزعة النفوذ الحبشي فكانت هذه المعارضة والمقاومة للاحتلال قد اتخذت اشكالا عدة ، وتكلمت نجاحاتها بطرد المحتلين مرة اخرى (٣٣) .

في فترة الاحتلال الحبشي لمدينة اليمن امتدت اطماع الاحباش الى مدينة مكة وذلك لعدة اسباب منها المباشر والاخر المهم هو غير المباشر الذي يعكس فكرة الاطماع التوسعية ، اذ لعبت العوامل الدينية والسياسية والاهم من هذا الاقتصادية والتجارية في دفع ابرهة الحبشي الى تجريد حملة عسكرية ضد مكة التي لم تشر ولاقت فشلا ذريعا (٣٤) .

ب - مدن عربية اسلامية

لقد كان من بين اهم المظاهر الحضارية التي وافقت حركات التحرير العربية شرق الجزيرة العربية وشمالها وغربها تأسيس الحواضر والمدن . ذلك المظهر الذي يعكس بحق ان العرب ، على عكس ما افترضه هنري بيرنيه واخرون^(٣٥) ، لم يعملوا اثناء الفتوحات على هدم الحضارة والمعالم العمرانية والمقومات الحضارية الانسانية انما اسهموا بواقعية في انعاش الاحوال الحضارية واعادة تعمير ما تهدم في المناطق التي حرروها . فكانت حملات عسكرية ناجحة وفي الوقت ذاته عبرت عن اهتمام متزايد من قبل الخلافة العربية والقادة والولاة العرب في تطوير تلك المناطق والمراكز الحضرية التي وصلت اليها الجيوش العربية . ولم يكتفوا بالاضافات العمرانية التي اضافوها في كل مدينة او حاضرة وقعت بأيديهم او التي حررت من قبلهم انما عملوا على تأسيس حواضر وامصار جديدة تماما صارت بمرور الزمن من المدن العربية دائمة الصيت كالبصرة والكوفة والموصل والفسطاط والقيروان . والاهم من ذلك ان عملية التعمير والبناء والتجديد التي اقدم عليها العرب لم تتوقف بتوقف الفتوحات واستقرار العرب بعد حركات التحرير العربية ، فقد اهتم المسؤولون من خلفاء وولاة بهذا الجانب العمراني الحضاري وشهد العالم

الاسلامي نهضة عمرانية مدهشة تأسست على أثرها مدن اكتسبت شهرة محلية وعالمية منها مدن ادارية وسياسية كمدينة واسط ومنها مدن قامت بوظيفة العاصمة كمدينة بغداد وتونس والقاهرة ومنها مدن شخصية تأسست لعوامل جغرافية وصحية وفنية جمالية كمدن رقادة بالقرب من القيروان والزهاء والزاهرة بالاندلس بالقرب من مدينة قرطبة ومنها مدن بنيت لاسباب سياسية دفاعية كمدينة القطائع بالقرب من مدينة الفسطاط ومدينة المهدية القريبة من القيروان وغيرها من المدن العربية الكثيرة التي زخر بها العالم الاسلامي ، لاسيما تلك المدن التي اسست وفقا لمفهوم العرب في تأسيس المدن ، في المشرق الاسلامي في بلاد فارس كمدينة شيراز ، وفي الهند كمدينة المنصورة وغير ذلك .

فالاسلام دين تمدني بطبعه اذ نما وترعرع في ظلال مدن مكة ويشرب اللتين لعبتا دورا دينيا واقتصاديا بارزا ، ثم انتشر وذاع بين الناس عربيا او غير عرب بفضل حركات التحرير العربية التي اتخذت الامصار في بداية الامر قواعد ومراكز تقوم بوظيفة التموين والتهيو العسكري وفي الوقت نفسه لاستقرار المقاتلين وانخراطهم في شؤون الحياة اليومية خاصة بعد ان اكملت حركات التحرير العربية مهماتها .

لذلك فان عنصر المقاومة في هذه المدن العربية الجديدة كان موجودا منذ البدايات الاولى لتأسيسها

انطلاقاً من نظرية ابن خلدون التي وقمنا عليها في السابق وملخصها ان العرب كانوا يراعون في اتخاذ المدن والامصار المستلزمات العسكرية والاستراتيجية . علاوة على ذلك فان هذه الامصار قد تأسست وفق منظور عمراني عربي جديد وتخطيط حضري عربي جديد وهيئة سكانية عربية قبلية جديدة . كما انها اختيرت لتكون موافقة لاستراتيجية عربية جديدة من الناحية العسكرية . اذ لم يتخذ المقاتلون العرب مثلاً مدينة الابلّة [ابولوغوس] التي ربما تكون مدينة اسسها اليونان أثناء حملة الاسكندر المقدوني الذي ، حسبما قيل ، انه اسسها كميناء تجاري ، او انها مدينة عراقية قديمة ترجع اصول تسميتها الى قبائل عربية او - بو - لو التي كانت تقطن جنوب العراق (٣٦) [التي كانت تقع على نهر دجلة العوراء [شط العرب] ، كما ان العرب الذين رافقوا القائد سعد بن ابي وقاص لم يتخذوا مدينة المدائن عاصمة الساسانيين ، كذلك لم يتخذوا مدينة نينوى القديمة او حتى القليعات ، ولم يتخذوا مدينة الاسكندرية في مصر ، ولم يحلوا محل الرومان في مدينة قرطاج الرومانية في المغرب العربي . لكنهم في مقابل ذلك اسسوا مدناً جديدة كالبصرة وهي ليست الابلّة والكوفة والمدائن والموصل والفسطاط والاسكندرية والقيروان .

وعلى اعتبار ان العوامل العسكرية التي رافقت مسيرة حركات التحرير العربية قد لعبت دوراً اساسياً في

اندفاع العرب الى اتخاذ مدن الامصار هذه ، فهي اذن مدن
عسكرية خصصت في مراحل تأسيسها الاولى للمقاتلين
العرب وعوائلهم . لهذا صارت خططها هي الاخرى متأثرة
بهذا العامل اذ قسمت الى ارباع او اخماس او اسباع او
غير ذلك بمعنى كل قبيلة عربية اختارت لها خطة خاصة
بها ومن حالفها ، مع وجود المسجد الجامع ودار الامارة في
وسطها تحيط بهما رحبة واسواق . كذلك فان اختيار
مواضعها قد تأثر بالعامل العسكري اذ اتخذت وفقا لتخطيط
ال خليفة عمر بن الخطاب (رض) الاستراتيجي - العسكري
اي انها : تقع على طرف البر وقريبة من الريف ؛ وقربها
من مصادر مياه الشرب ؛ وان لا يفصلها عن المدينة مركز
الخلافة ، نهر او جبل او بحر ، كذلك مراعاة اتفاقها
صحيا ومناخيا ، مع النوق العربي والعقلية العربية التي
لا تحبذ اتخاذ المناطق المزدحمة الكثيرة الوخومة والرطوبة
والموبوءة الكثيرة الحشرات والهوام (٢٧) . ان مدن الامصار
كانت في مناطق فسيحة الرقعة طليقة لاتحدها اسوار
ولا تحيطها تحصينات وخنادق . باختصار انها مدن
صارت تشكل خطرا واضحا على الامبراطوريتين اللتين
كانتا تسيطران على الاراضي العربية ، وبذلك اخذت
تتحين الفرص للانقضاض عليها وغزوها لانها تعبر عن
الواقع العسكري الناجح . صحيح ان الامبراطورية
الساسانية وبعد معارك العرب الخالدة في القادسية
ونهاوند وبعد تحرير المدائن ، نهاوت تماما فلم تعد قائمة من

الناحية السياسية ، غير ان الامبراطورية الرومانية والبيزنطية لم تنته بشكل نهائي ، وان تحرير العرب بلاد الشام ومصر والمغرب قد تحقق على اثر فشل العدو في مواجهة الجيوش العربية فتقهقروا عنها . لهذا ظل البيزنطيون يتحينون الفرص ويتابعون التطورات السياسية للدولة العربية لغرض شن هجمات مضادة على المدن العربية لذلك كانت مدن بلاد الشام والجزيرة الفراتية ومصر والمغرب العربي عرضة لتحديات الغزو العسكري براً وبحراً .

ومما لا ريب فيه ان القادة العرب بتوجيه من الخلافة كانوا على ادراك ومعرفة تماما بهذه الاحوال الاستراتيجية ، اذ كان اعتراض الخليفة الثاني (رض) والمقاتلين العرب المرافقين للقائد عمراوين العاص على عدم اتخاذ الاسكندرية كمدينة مصر لهم مثلاً مبنياً على مبدأ الخشية من ان تقوم مراكب العدو بتطويقها من جهة نهر النيل وفرض الحصار عليها فيكون الجيش العربي المرابط فيها محصوراً من ناحية النهر ، لهذا السبب ايضا عمل عمرو ابن العاص بعد اختياره موقع الفسطاط على وضع مرصد عسكري يرابط فيه مجموعة من المقاتلين العرب في الجهة المقابلة لمدينة الفسطاط عبر نهر النيل في مدينة الجيزة ليصبحوا على علم بتحركات اسطول العدو (٤٨) . في الوقت نفسه فان القائد عقبة بن نافع وحسان بن نعمان الفسائي كانا مدركين تمام الادراك لهيمنة البيزنطيين البحرية في

البحر المتوسط عندما اختارا مواضع القيروان وتونس .
فقد استشار عقبة بن نافع اصحابه في موقع لمدينته وكانت
مسألة ضرورة الابتعاد عن ساحل البحر موجودة في اذهانهم
خشية ان تشن اساطيل العدو هجوما بحريا من الخلف
او يفرضوا حصارا على الجيوش العربية ، كما ان عقبة
وصحبه كانوا حذرين ايضا من تحركات البربر من جبال
اوراس . الحالة نفسها تكررت في اتخاذ مدينه
تونس (٣٩) .

وقد اثبتت النتائج التاريخية واقعية التفكير
الاستراتيجي العسكري للعرب ومراعاة ابتعادهم عن خطر
الغزو ، اذ تعرضت مدن مصر اثناء الحملات الصليبية الى
غزو بحري نهري قامت به اساطيل البيزنطيين ضد مدينة
الاسكندرية ومدن اخرى ، ولهذا السبب فقط اقدم الوزير
شاور السعدي وزير الخليفة الفاطمي ، العاضد ، بحرق
مدينة الفسطاط في سنة ١١٦٨/٥٦٤ خوفا من ان تكون
لقمة سهلة امام تقدم الاسطول الصليبي (٤٠) . فقد اضرمت
النار في مساكنها ومحلاتها واستمر الحريق مندلا في
المدينة عدة ايام (٤١) . كذلك الحال عندما امر الحسن بن
يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي في سنة
٥٤٣هـ / ١١٤٨ باخلاء مدينة المهدية اثناء الهجوم البحري
الذي شنته اساطيل صاحب جزيرة صقلية على المدينة .
ولم تثمر مقاومة الصنهاجين القوية لتحدي اساطيل
العقيليين ، اذ استطاع العدو غزو المدينة

والسيطرة عليها مدة اثنتى عشرة سنة . ولم يستسلم اهالي
المدينة لهذا الاحتلال اذ كانوا يتحينون الفرص لطرد المحتلين
الاجانب ، وبالفعل فقد نجح عبدالمؤمن زعيم الموحدين في
تحشيد طاقات الاهالي وحارب الصقليين وافلح في طردهم
من المدينة سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م واعادة المدينة الى الحكم
العربي (٤٢) .

وتحققت رؤية العرب الاستراتيجية المستقبلية ازاء
اخطار الغزو الساحلي في حالة مدينة تونس اذ تعرضت
هي الاخرى الى غزو بيزنطي بحري سنة ٥٤٣/١١٤٨ عندما
جرد الاوربيون حملة بحرية ضد سواحل المدينة ، وبعد
مقاومة باسلة لاساطيل العدو افلح الاوربيون في غزوها
ودخولها ، ونهب بعض ثغورها . ظلت مدينة تونس تابعة
لالاحتلال النورماندي هذا الى ان استطاع أمير دولة الموحدين
عبدالمؤمن الزناتي من توجيه جيش قوي يناصره اهالي
المدينة ضد النورماندين سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ . وكان
هجومه قويا لم يصمد امامه المعتدون مما اضطرهم الى ترك
المدينة (٤٣) .

من الجانب الاخر فان المقاتلين العرب بعد ان نجحوا
في تحرير بلاد الشام من السيطرة الرومانية ، واستقبال
اهالي مدن المنطقة العرب بالترحيب اعادوا تعمير ما تخرب
من المدن ، وازدانة وحدات عمرانية جديدة تتفق وخطط
العرب العمرانية كالمسجد الجامع ودار الامارة والاسواق

وتخطيط المحلات : ان العرب هنا لم يؤسسوا امصاراً جديدة ، كما هو الحال في العراق ومصر والمغرب العربي . ولعل السبب في ذلك وجود مدن قائمة تتفق والخطط العسكرية ، وكذلك لان فلسفة اخذ الامصار عسكرياً ان تكون على طرف البرء وعريضة من الريف وهي لا تنطبق تماماً في هذا الجزء من الوطن العربي ، لذلك ابقى العرب على مدن المنطقة القديمة كدمشق وحلب وحما وحمص وبيت المقدس وقنسرين وغيرها العديد من مدن بلاد الشام .

ان خروج البيزنطيين عن هذه المنطقة جراء حركات التحرير العربية لم يمه اطماعهم ومخططاتهم التوسعية في العودة الى بلاد الشام ، وذلك لاهمية بلاد الشام في السياسة الخارجية اليونانية والرومانية ، فضلاً عن اهميتها الكبيرة في الامور التجارية والاقتصادية . وقد بقيت المنطقة تشكل اهمية استراتيجية في نظر البيزنطيين . لذلك واجهت مدن بلاد الشام سلسلة مستمرة من تحديات الغزو البيزنطي والصليبي ، لا سيما عندما كانت الاحوال السياسية الداخلية للمنطقة تشهد اضطراباً وارتباطاً . وكانت معاناة اهالي مدن بلاد الشام كبيرة ، اذ تعرضت مدينة حلب وانطاكية ، ومن مدن الجزيرة الفراتية نصيبين وغيرها الى عدة حملات عسكرية بيزنطية . كانت مدينة حلب ابان نفوذ الامارة الحمدانية العربية في امان ومنعة لما ابداه امراء هذه الامارة من مقدرة وكفاية في مواجهة

الحملات البيزنطية ، غير أن المدينة قاست كثيراً من هجوم
بيزنطي حدث سنة ٣٥١هـ / ٩٦٢ . لقد امتازت مدينة
حلب برخاء اقتصادي تجاري ووصفت من قبل الجغرافيين
العرب بكثرة خيراتها ، كما تميزت بموقعها الجغرافي
والمسكري لوجود قلعتها الشهيرة . وكان أهالي المدينة
مشهورين بمقاومتهم الغزو منذ تاريخ تأسيسها القديم
جداً ، وكانوا حينما تشتد وطأة الغزو يلجأون إلى القلعة
الحصينة التي اشتهرت بانتاجاتها الذاتية التي تزود
المحتمين بها بالمستلزمات الضرورية لادامة مقاومتهم واحباط
مخططات الاستحواذ على مدينتهم . لكن المدينة ، وبسبب
اهميتها صارت مطمح انظار الطامعين فشن عليها القرامطة
هجوماً في سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٢ عانى الاهالي كثيراً من
نتائجه . اما البيزنطيون ، فيحدثنا ابن حوقل الذي عاصر
الفترة بانهم استغلوا سوء الاوضاع الداخلية للحمدانيين ،
وانشغالهم في الدفاع عن اجزاء اخرى من البلاد فضلاً عن
تركيز سيف الدولة الحمداني انذاك في مساندة الخلافة
العربية ضد الغزو البويهي الديلمي على بغداد . ولم تفلح
مقاومة أهالي المدينة واحتمانهم بالقلعة ، فوقعت بأيدي
البيزنطيين (١٤) الذين تسببوا بقتل الكثير من أهلها
وفرضهم الجزية على كل صاحب دار وحانوت . لكن هذا
الغزو لم يستمر طويلاً إذ افلح الاهالي بطرد الغزاة وتحرير
المدينة من احتلالهم . كما تعرضت مدينة انطاكية إلى غزو

بيزنطي في سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م بعد ان فرضوا حصارا شديداً على سور المدينة (٤٥) .

لقد تحملت مدن وامصار العراق العسكرية ، البصرة والكوفة وواسط والموصل ، مسؤولية كبيرة في حركات التحرير العربية لاسيما بعد تحرير مدينة الابله سنة ١٤هـ ٦٣٥م بالنسبة الى البصرة ، وبعد انتصار العرب الرائع في القادسية وتحرير المدائن بالنسبة الى جبهة الكوفة . اذ انسابت الجيوش العربية صوب الشرق محقة انجازات عسكرية مذهلة سقطت ، على اثر معارك كثيرة ، اقاليم ومدن ورساتيق كثيرة في ايدي العرب في الاحواز وكرمان وبلاد فارس وخراسان وسجستان والهند والسند وطبرستان واذربيجان وما وراء النهر في مدن سمرقند وبخارى وارمينية وبلاد الديلم والجيل ، فصارت كل من البصرة والكوفة تشرف على جبهة عسكريه - ادارية واسعة من بلاد المشرق . وانطلاقا من الوظيفة الاساسية لهذه الامصار فانها بقيت مفتوحة لتدفق العرب المقاتلين ولم تبر لها اسوار وتحصينات ، كما انها (الامصار) بقيت على اتصال ميسور بالجزيرة العربية وبمركز الخلافة العربية .

غير ان مدينة البصرة وجدت نفسها بمرور ، الزمن وبعد استقرار العمليات العسكرية ، امام تحديات الغزو

العسكري والسياسي المعاكس من الجهة الشرقية التي اسهمت المدينة ومقاتلوها العرب كثيرا جدا في اطار تحريرها . ايضا فان المدينة واجهت تحديات عسكرية من بعض القوى المجاورة المحيطة بها . من هنا دأب مسؤولو ادارة المدينة ، والخلافة العباسية العربية على ضرورة مراعاة الحيطه في دفع مضار الغزو عن المدينة ، اذ لم يكن من الحكمة ، ازاء هذه التطورات ، ان تبقى المدينة مفتوحة كما كانت في بداية تأسيسها . ولعل هناك عدة عوامل اهابت بالخليفة العباسي المنصور الى ان يوجه اوامره ببناء سور للمدينة في سنة (٤٦) ١٥٥هـ / ٧٧١م منها :

١ - صارت البصرة ، منذ الفترة الاموية ، هدفا امام هجمات الخوارج الذين اثاروا الاضطراب في احوال المدينة الداخلية وكانت المدينة مواجهة لتحركاتهم نظرا لانفتاحها من جهة البادية .

ب - حركة ابراهيم سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م قد شكلت خطورة سياسية امام المنصور ، لاسيما بعد ان لاقت نجاحا في الوهلة الاولى في المدينة .

ج - تفكير الخليفة المنصور السليم النابغ من نظريته التي طبقها في سنة ١٤٥هـ بالنسبة الى تحصين المدينة المنورة وتسويرها .

ولعل من الصحيح القول بان سور المدينة وحندقها
قد عملا لصد الغزوات القادمة من الجهة البرية ، البادية .
وبالفعل فقد استطاعت هذه التحصينات ان تصد اول تعد
في الغزو العسكري من جهة قرامطة البحرين . اذ طمع
هؤلاء منذ بداية ظهورهم في السيطرة على المدينة وغزوها ،
وقد عمل والي المدينة ، لتفادي خطر القرامطة . في
سنة ٢٨٦هـ / ٨٩٩م على تجديد بناء السور القديم . ومع
ان الروايات التاريخية قد ابانت على ان لهذا السور مدخلا
واحداً ، وبانه كان مبنيا من اللبن لكنه صمد امام تحديات
الغزو القرمطي . ومع ذلك فان سلسلة هجمات القرامطة
للمتعددة على المدينة ، جعلت الاهالي يحتاطون كثيرا ، فقد
شن هؤلاء هجوما ليليا مباغتاً في سنة ٣١١هـ / ٩٢٣ بجيش
تراوحت اعداد المساهمين فيه بين ١٧٠٠ الى ٢٧٠٠
رجل . وقد استطاعوا دخول المدينة بعد ان تسلق عدد
منهم السور وفتح بوابة المدينة . وقد خضعت المدينة
واهلها لسيطرة القرامطة المريرة مدة احد عشر يوما ، عمل
فيها هؤلاء انواعاً من الهلع والتخريب والقتل . ومع ذلك
فان اهالي المدينة وقفوا بصمود ازاء هذا الاحتلال وافلحوا
بعد وصول الاملاكات العسكرية من السلطة المركزية على
لجبار القرامطة على الانسحاب (٤٧) .

ويبدو ان سور المدينة لم يمنع الزنج الذين ظهروا في
منطقة البصرة قبل ذلك من دخول المدينة ، وعلى الأرجح

ان الزنج ركزوا في هجومهم على المدينة من الجانب الشرقي
المطل على نهر شط العرب . ومع ذلك فان احتلال
الزنج لم يمر بسلام اذ يحدثنا الطبري عن وقوف اهالي
المدينة وراء اشراف المدينة ووجهائها ضد الغزو ، لذلك لم
يفلح الزنج في الاحتفاظ بسيطرتهم واحتلالهم
للمدينة (٤٨) .

جاء التحدي الخطير الذي واجهته مدينة البصرة ومدن
العراق الاخرى من الجهة الشرقية . تلك المنطقة التي سبق
ان هددت مدن العراق القديم ، اور وبابل . لقد كانت
منطقة بحر قزوين وعلى وجه التحديد بلاد الديلم والجيل
مصدر هذا الخطر اذ ظهرت في هذه المنطقة تكوينات قبلية
ديلمية ليس لها من مقومات التقدم والحضارة شيء يذكر
عدا كونها قبائل تنزع الى الحرب والتوسع على حساب
سيادة الخلافة العباسية . وبالفعل فان احد زعماء هذه
التكوينات السياسية وهو مرداويج بن زياد كان قد ضمن
مخططة التوسعي الوصول الى مدينة بغداد وتدميرها واعادة
امجاد مدينة المدائن عاصمة الساسانيين (٤٩) .

كانت مدينة البصرة ، بالنظر الى قربها من الاحواز ،
وجها لوجه امام تحدي الزحف البويهي الديلمي . ومن
حسن حظ المدينة انها كانت تابعة لنفوذ البريديين الذين
كانوا يمتلكون جيشا قويا متعدد العناصر . وقد افلح ابو
عبد الله البريدي كبير الاخوان البريديين الثلاثة في صد

التقلم البويهى . اذ كان البويهيون في الاحواز ينتهزون
فرصة التوجه نحو بغداد . ولعله من الصحيح ان نقول ان
البريديين استطاعوا ان يؤخروا الفزو البويهى من سنة
٣٢٥هـ / ٩٣٧م حتى سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م .

وما ان تحققت مآرب البويهيين التوسعية في دخول
بغداد عسكريا وتسلطهم على الخلافة العباسية سنة ٣٣٤هـ
حتى اخذ احمد بن بويه [معز الدولة] يخطط لاحتلال مدينة
البصرة ، فجهز جيشا في سنة ٣٣٦ / ٩٤٧ . بمحورين
البري والنهري ، وفرض حصارا على المدينة ، وبعد مقاومة
ابداها البريديون واهالي البصرة وقعت المدينة في ايدي
معز الدولة . ويبدو ان الاوضاع الداخلية في المدينة لم
تستقر منذئذ اذ يشير مسكويه في «تجارب الامم» ان
حبشي ابن معز الدولة الذي كان حاكما على البصرة قد
عامل الاهالي معاملة سيئة وفي هذه الفترة من الاحتلال
نمت نهضة عربية جديدة ببروز دور القبائل العربية
البلاية والسعدية في المجتمع البصري ، وهما يمودان نسبا
الى ربيعة ومضر . ويبدو انهما اقلقتا البويهيين وعملتتا على
اضعاف نفوذهم وتفتيت وحدتهم بتأييدهم جانباً من الامراء
المتنازعين دون الاخر كما وقع سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦ أثناء
النزاع بين بختيار بن معز الدولة وبين عضد الدولة .
كذلك في سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٢ أثناء النزاع بين شرف الدولة
وابي طاهر . كذلك هناك عدة استشهادات تشير الى ان
الاهالي كانوا يقاومون الاجراءات التعسفية التي كان

يمارسها البويهيون او نوابهم وكانوا يقفون باستنكار
ضد اجراءات فرض الضرائب الجديدة (٥٠) .

وكما واجهت عاصمة البابليين العظيمة بابل تحديات
الغزو العسكري والسياسي الاجنبي فان بغداد ، مدينه
السلام وعاصمة العباسيين ، هي الاخرى قد تعرضت
لهجمات وغزوات الاجانب خاصة الاقوام القادمة من المشرق
الاسلامي . فلقد خططت الشعوبية السياسية بعد مقتل
ابي مسلم الخراساني للتمرد ضد السلطة العربية منذ
وقت مبكر من تاريخ الدولة العباسية ، وكانت اجراءات
الخلافة العباسي المنصور الذكية ومن اعقبه من الخلفاء
رادعا قويا احبط مخطط هذه الحركات في تنفيذ مآربها
ضد العاصمة .

كان الخلافة ابو جعفر المنصور مدركا خصائص
الموضع الذي سعى لتحديده كي يبني مدينته المدورة . وقد
خضعت مدينة السلام ، على هذا الاساس ، لجملة مؤثرات
وعوامل لا تشابه مع تلك التي خضعت اليها الامصار
الاسلامية ، البصرة والكوفة . وذلك لاستقرار حركات
التحرير العربية نهائيا ، كذلك لان ظروف وتطورات
وتطلعات القرن الثاني للهجرة من النواحي السياسية
والادارية والاقتصادية والعسكرية قد اختلفت كثيرا عن
ما شهدته الربع الاول من القرن الاول للهجرة . لقد رغب
المنصور من وراء تأسيسه بغداد تحقيق عدة امور واعتمادا
على ما ذكره الجغرافيون والمؤرخون العرب منها :

أ - ارادها ان تقوم بوظيفة العاصمة الجديدة للدولة
العباسية وان تلبي لذلك ما يطمح اليه من
من الناحية السياسية المركزية .

ب - ان تكون مدينة محصنة تحصينا متينا ،
فاحاطها بسورين وخندق ونصب فوق الاسوار
الابراج ، وحدد الدخول اليها من اربعة ابواب
ضخمة . لهذا فانها لم تكن مدينة مفتوحة او
طلقة انها مدينة محدودة ومحددة . ولهذا بعد
عسكري دفاعي ، ربما ايضا احد الاهداف
التي اراد تحقيقها . وزيادة في الحيلة
العسكرية فانه وضع نصب عينييه على مسألة
ستراتيجية في صعوبة الوصول اليها ،
لوجود الانهار والقنوات . واعتمادا على رأي
الدعقان الذي كان من اهل الموضع والذي
استشاره المنصور حول خصائص الموضع قال
هذا « وانت يا امير المؤمنين بين انهار لا يصل
اليك عمود الا على جسر او قنطرة فاذا قطعت
الجسر واخربت القناطر لم يصل اليك ، وانت
بين دجلة والفرات لا يجيئك احد من المشرق
والمغرب الا احتاج الى العبور » (٥١)

اذن فان عنصر امكانية المدينة في مقاومة الغزاة كانت
موجودة في ذهن الخليفة .

٣ - انه اراد ان تكون مكتفية ذاتيا من الناحية

الاقتصادية ، وهو عامل رافق فكرة حصانتها
ومناعتها وصعوبة الوصول اليها ، الامر الذي
يؤهلها للوقوف بوجه الغزوات . وقد تجلت
هذه الناحية في الملاحظة التي ابداهما المنصور
اذ قال « هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين
شيء يأتينا منها كل ما في البحر وتأتينا الميرة
من الجزيرة وارمينية وما حول ذلك وهذا
الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرقعة
وماحول ذلك (٥٢) » وقال ايضا في نفس المناسبة
ان الموضع قد « اجتمع فيه ما اريد من طيب
الليل والمواقفة مع احتماله الجند والناس (٥٣) » .
والواقع فان المتتبع لتاريخ مدينة بغداد المسدورة
سيري مدى واقعية نظرية المنصور ومدى عمليتها ، فلم
يحدث ان تعرضت لتحديات الغزو العسكري . غير ان
هذه الوضعية لم تستمر طويلا اذ توسعت مدينة بغداد
وخرجت من حدودها الضيقة الى مناطق مفتوحة كالكرخ
والرصافة . فصارت حينئذ عرضة لتحديات الغزو
العسكري الداخلي والاجنبي . غير ان اخطر هذه التحديات
ذلك المتمثل بالغزو البويهي الديلمي الذي فرض احتلالا
بقيضا دام حوالي مائة واربع عشرة سنة اعقبه احتلال
سلجوقي ثم مغولي .

فقد وضع البويهيون خطة عسكرية لغزو العاصمة
بعد ان ثبتوا مواضعهم في الاحواز وتخلصوا من مواجهة

البريديين . فاتجهوا نحو واسط ثم العاصمة . ومع ان الظروف والملابسات التي كانت انذاك بما جعلت مسألة الاحتلال امراً سهلاً لكن ما اعقب ذلك من تطورات ونتائج تؤكد العكس ، وان وضع البويهيين كان صعباً وان المدينة لم تستسلم نهائياً . فقد :

ا - يادر الحمدانيون لنجدة الخليفة في طرد

الغزاة ، ولولا حدوث بعض المفاجئات في صالح البويهيين لكان بمقدور الحمدانيين ان يظفروا في الانتصار العسكري^(٥٤) ويطردوا البويهيين من العاصمة .

ب - تشير الدلائل التاريخية الى ان الخليفة

العباسي [الذي من المحتمل انه كان في البداية مخططاً للاستعانة بهم للتخلص من نفوذ امير الامراء الاجنبي] قد عمل جاهداً منذ الوهلة الاولى على التخلص من التسلسل ، لهذا أدرك البويهيون هذا الهدف . وتشير المصادر الى ان الخليفة المستكفي بالله وبتايد من اهالي العاصمة والجند قد خطط فعلاً بترغم انقلاب على معز الدولة البويهي ، غير ان الحظ لم يحالفه^(٥٥) . ومع ان هذا الخليفة قد فشل في تحقيق الانتصار الا ان المصادر تبين ان الخلفاء العباسيين الذين جاءوا قد استخدموا سياسة تفريق شمل البويهيين وتفتيت قوتهم بتشجيع

أحدى الفرق العسكرية [الديلم والأتراك] ضد
الآخرى . وقد حققت هذه السياسة هدفها
حتى صار الأمراء البويهيون يتوددون اليه
ويحاولون كسب تأييده ضد منافسيهم (٥٦) .
باعتبار أن الخليفة كان مدعوماً من قبل
الاهالي .

ج - مقاومة اهالي العاصمة للاجراءات التعسفية
التي فرضها البويهيون كفرضهم الضرائب
الجائرة على الناس والتجار والصناعات
المحلية . فالمعروف تاريخيا ان اهالي بغداد
والمدن العراقية الاخرى قد ذاقوا الويلات من
من جراء الاحتلال اذ شجع البويهيون الفتن
والاضطرابات والانقسامات الطائفية وبالنظر
الى جهلهم بالامور الاقتصادية ولجوء قادتهم
من الديلم والأتراك الى احتكار المواد الغذائية
الاساسية . فقد نمرت الاقوات وازدادت
اسعارها زيادة فاحشة في نفس الوقت
اضطرب جبل الامن في الداخل فانفسح المجال
امام اللصوص وقطاع الطرق . ومما زاد في
الطين بلة ان نواب البويهيين وقواد جندهم
اقتسموا على مصادرة اموال الناس واملاكهم
واموال التجار والموسرين من الاهالي . مما
قاله مسكويه في حوادث سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣

الملاحظة الآتية «وانتشر النظام وانخزل السلطان
وظهرت المصيبة (٥٧)» وهي ملاحظة تبين بجلاء
اوضاع العاصمة ابان الاحتلال البويهي ،
ويشير ابن الجوزي الى مسألة ارتفاع الاسعار
بقوله في سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣ ان الاسعار
ارتفعت ارتفاعا فاحشا حتى بلغ كر الحنطة
ثلاثة الاف درهما وزاد بعد ذلك ليصل سعره الى
اربعة الاف وثمانمائة درهما الامر الذي ادى
الى حصول مجاعة وموت كبير بين الفقراء (٥٨) .

ولم يقف اهالي بغداد والمسن العراقية مكتوفي الايدي
ازاء تردي الاوضاع الداخلية ، انما عبروا عن تضرعهم
باستيائهم بشتى الاساليب الثورية منها :

١ - قيامهم بثورات داخلية وحركات اجتماعية
سياسية ضد التسلط البويهي ، كما انهم
كانوا يناصرون الحركات التي تهدف الى
تقويض حكمهم ، ففي سنة ٣٦١هـ وسنة
٣٦٢هـ / ٩٧١ او ٩٧٢ ثار الاهالي ثورة
عارمة ضد بختيار بن معز المولة ولما يفض على
احتلالهم الا حوالي اربعين سنة . وكان سبب
ثورتهم تقاعس بختيار عن نصرة العرب في
بلاد الشام والجزيرة الفراتية عندما تعرضت
مدينة نصيبين الى غزو من قبل الروم . اذ

دخلوا هؤلاء المدينة ونهبوها واحرقوا المنازل
وقتلوا الرجال والنساء . وتقدم هذه الرواية
وصفا بديعا لهذه الثورة اذ تقول ان قوما من
اهالي ديار بكر وربيعة قدموا المدينة
واستنفروا المسلمين فاجتمع اهالي بغداد في
المساجد والاسواق . وخرج الجميع بعد ذلك
متوجهين الى دار الخليفة المطيع لله .
كان بختيار البويهى انذاك في الكوفة ، فخرج
اليه وجهاء بغداد وزعماؤها وعرضوا عليه
مستنكرين موقفه السلبي ازاء اعمال الروم
وممارساتهم واشعروه بانشغاله « عن مصالح
المسلمين وانصرافه عن تدبيرهم » وتشاغله
بالصيد واللهو عن جميع مهمات المملكة (٥٩) .

ب - ومن المحتمل جدا ان تكون حركة العياريين
الشعبية من بين اساليب المقاومة ضد التسلط
البويهى اذ اخذت حركتهم تتنامى في الستينات في
القرن الرابع الهجري حينما سادت الفوضى
واقضع ضعف البويهيين (٦٠) .

ج - كما تار اهالي بغداد سنة ٢٧٣هـ / ٩٨٢ على
البويهيين بسبب ارتفاع اسعار المواد
الغذائية ، ويعقب ابن الجوزي على هذه
الحركة بقوله « وضع الناس وكسروا منابر

الجوامع ومنعوا الصلاة في عدة جمع (٦١) .
 وثار الاهالي مرة اخرى في سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م
 ضد اجراءات صمصام الدولة البويهري
 التعسفية في فرض الضرائب على الثياب
 الابريسيات والفطنيات التي كانت تنسج
 في بغداد « فاجتمع الناس في جامع
 المنصور وعزموا على المنع من صلاة
 الجمعة ، وكاد البلد يفتتن فاعفوا من احداث
 هذا الرسم » (٦٢) . كذلك ثار اهالي بغداد
 على الجند الاتراك سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠ عندما
 تسبب هؤلاء بقتل احد وجهاء الهاشميين ،
 فاجتمع الهاشميون في جامع المدينة ورفعوا
 المصاحف واستنفروا الناس وناصرهم الفقهاء
 واعداد غفيرة من اهالي الكرخ فيقول ابن
 الجوزي انه بعد اجتماع الناس خرجوا الى
 المدينة « وضجوا بالاستغفار من الاتراك
 وسبهم » (٦٣) ، ووقعت معركة مسلحة بين
 الاهالي والاتراك استخدم فيها الأجر
 والنشاب .

د - وقد عمل الاهالي ايضا على اتباع اسلوب التعريق
 بين جنود البويهيين الذين كانوا ينقسمون
 عنصريا الى الديلم والاتراك . فكانوا يقفون
 الى جانب جماعة ضد أخرى بهدف اضعافهم

ففي سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠ حدثت معركة بين
الفلمان الجند فمال اهل بغداد الى بعضهم
ضد البعض الآخر فوقعوا بهم وغنموا
اسلحتهم (٦٤) .

هـ - وواجه اهالي بغداد الامراء البويهيين مواجهة
صريحة معلنين عن استيائهم من ضعفهم في
ضبط الامن ، فتار الناس في سنة ٤٢٤هـ /
١٠٣٢م واجتمعوا في جامع الرصافة معلنين
سخطهم على جلال الدولة البويهي لعدم قدرته
على ضبط الامن (٦٥) في المدينة .

و - اتخذ الخليفة العباسي موقفا مؤيدا لطاليب
الاهالي في كثير من المناسبات واعتاد الجلوس
للخاصة والعامة يسمع منهم الشكاوى
والمظالم (٦٥ ب) . لهذا فانه في سنة ٤٢٦هـ /
١٠٣٤م حينما ضعف امر البويهيين وسقطت
هيبتهم لاهمالهم شؤون البلاد وانصرفهم الى
الى حل منازعاتهم الشخصية ، امتعض الخليفة
القائم بأمر الله من تصرف قام به احد جنود
الامير البويهي ، فأمر القضاة بالامتناع عن
الحكم والفقهاء بترك الفتوى والخطباء بان
لا يحضروا املاكا ولا يعقدوا عقدا وعمل على
اغلاق باب الجامع ومنع الصلاة (٦٦) ، وقد

مال الاهالي الى اجراءات الخبيفة .

كان الغزو البويهي لمدينة بغداد وانشدن العراقيه
الاخرى حلقة في سلسلة من عمليات الغزو العسكري .
وقد اعقب ذلك عدة اعتداءات وغزوات على هذه المدينة
ففي سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٤ بعد افول حكم البويهيين تعرضت
العاصمة لغزو السلاجقة ، ثم اعقب ذلك الغزو الخوئي
بقيادة هولاءكو ، ثم الغزو المغولي بقيادة تيمورلنك .

ومع ان الغزاة استطاعوا فرض تسلطهم على بغداد
غير ان اهالي المدينة والمدن الاخرى عبروا عن مقاومتهم
للمحتلين بشتى الوسائل السياسية والاجتماعية مما يطول
سرده في هذا المجال وكان الاحتلال المغولي من اقسى
انواع الغزو العسكري الذي تعرضت له مدن العراق .

كان موقف الخليفة العباسي المستعصم بالله موقف
صلدا امام عنجهية هولاءكو بضرورة تسليم العاصمة له دون
مقاومة ، حينما بعث الى الخليفة كتابا ينذره فيه من المقاومة
ويدعوه الى تدمير اسوار بغداد والمثول امامه . تماما كما
فعل نادر شاه الصفوي عندما جهز جيشا قويا لغزو
بغداد ومدن كركوك والموصل والبصرة في سنوات ١٧٣٣
و ١٧٤٣ لم يمثل الخليفة العباسي لهذا الانذار اذ يشير
رشيد الدين في كتابه جامع التواريخ ان الخليفة وقف
بوجه العدوان موقفا حازما واصفا في رسالته الجوابية
الى هولاءكو بانه مغرور ، وهدده بانه اذا ما عزم الهجوم

على بغداد فان جميع الامراء المسلمين سوف يقفون الى جانبه . وهو موقف يذكرنا ايضا بموقف والي بغداد احمد باشا حينما طلب منه نادر شاه تسليم بغداد لجيشه الذي تباهى بعدده وعدته ، وموقف والي الموصل حسين باشا الجليلي من طلب احد قواد نادر شاه في شهر ايلول ١٧٤٣ بتسليم المدينة ، وموقف متسلم البصرة رستم اغا من طلب احد قادة نادر شاه حينما كان محاصرا المدينة في اب ١٧٤٣ . لقد رفض جميع هؤلاء المسؤولين رسائل الانذار التي وجهها نادر شاه وقواده واصلوا عن تصميمهم وتصميم اهالي هذه المدن في المقاومة والدفاع عن مدنها .

لقد واجهت بغداد هجوما عاتيا من المغول ، الهجوم الذي لم تفلح في صدده اجراءات الخليفة المضادة ومقاومة اهالي المدينة ومن ايد الخليفة من الامراء . اذ صارت بغداد في ١١ محرم ٩٥٦هـ / ١٢٥٨م تحت تسلط المغولي ، وعرضة لنهب المغول وسلبهم . اذ استباحوها مدة سبعة ايام (٦٧) وقيل اربعين يوما .

واذا ما فشلت مقاومة اهالي بغداد والمدن الاخرى في صد الغزو المغولي البربري ، فانها تكللت بالنجاح الكبير عندما احبطت جميع محاولات نادر شاه وقواده في التاريخ الحديث في السيطرة على العاصمة ومدن الموصل والبصرة وبالرغم من قوة الهجوم وعدد جنود الفرس الذين اسهموا فيه وبالرغم من تعرض الموصل والبصرة الى القصف المدفعي اذ اضطر المهاجمون على الانسحاب امام

مقاومة اهالي هذه المدن (٦٨) .

واعقب الغزو الهولاكي لبغداد غزو مغولي اخر بقيادة تيمورلنك اذ قام بمحاولتين عسكريتين لتحقيق مآربه التوسعية كانت الاولى في ٧٩٥هـ / ١٣٩١ والثانية في ٨٠٣هـ / ١٤٠١ . لقد عرض اهالي بغداد ووجهاؤها وامراء المدن العراقية الاخرى كحاكم مندلي وحاكم بعقوبة وحاكم الحلة مقاومة عسكرية قوية ضد الغزو التيموري ، اذ جمع هؤلاء حوالي ثلاثة الاف فارس لمجابهة الغزو ، وبالفعل فان تيمورلنك واجه صعوبة في احتلال المدينة .

وفي نهاية الحديث عن مقاومة المدن العربية الاسلامية والحديث لا بد من ذكر الاساليب التي اعتمدها اهالي مدن العراق لمقاومة الحملات العسكرية التي اعدتها نادر شاه الصفوي لغزوها واحتلالها ، ومن بين تلك الاساليب :

١ - موقف الولاة واداريي المدن العراقية الحذر والمتأهب . اذ قام الوالي احمد باشا والي بغداد باتخاذ عدة اجراءات سريعة بعد وصول انذار نادر شاه . فهيا المساكر وحسن بعض المدن العمودية ، كذلك اجرى الترميمات اللازمة على سور مدينة بغداد ، ولذلك فان مدفعية نادر شاه لم تشر في عمل اية ثغرة فيه .

كذلك فانه أرسل ردا جوابيا لانذار نادر شاه
يعرب فيه عن امكانية صمود المدينة واهلها
ومقاومتهم للعدوان ومما جاء فيه انه سوف لن
يسلم حجرا واحداً من احجار المدينة (٦٩) .

وقد وقف والي مدينة الموصل الجليلي
واهالي المدينة وقفة رجل واحد ، اذ تنظم
الاهالي تنظيماً جيداً في ترميم اي ثغرة حدثت
بفعل المدفعية ، كما ان الوالي اعد المقاتلين من
من اهالي المدينة . وعبر تعبيراً حازماً في
الرسالة الجوابية التي بعثها الى القائد جاء
فيها : « اسياقتنا صعبة وسطوتنا ثقيلة ..
وبلدتنا بحمد الله حصينة » (٧٠) .

وكان موقف متسلم البصرة واهالي المدينة
يشابه مواقف ولاية بغداد والموصل اذ تسلم
الانذاراً من قائد القوات الفارسية المحاصرة
للمدينة ، التي تعرضت الى قصف مدفعي
مكثف بضرورة تسليم المدينة ، فما كان من
متسلم البصرة الا الرد المباشر على ذلك الانذار
برسالة تعبر عن روح المقاومة الثابتة والصمود
القوي ، فمما جاء فيها :

ان اهالي المدينة متاهبون للدفاع عن مدينتهم ومقاومة الغزو والاحتلال » وها نحن لملافاة من رامنا بسوء متاهبون وبالله على من بغى علينا مستعينون « (٧١) .

ب - موقف اهالي المدن واجراءاتهم التعبوية الداخلية في مقاومة تحديات الغزو العسكري الاجنبي
اذ المعروف ان نادر شاه قد فرض حصارا قاسيا على مدينة بغداد واخذت مدفعيته توجيه القنابل الى سور المدينة . فما كان من الاهالي الا الصمود والمقاومة متحملين الالم والجوع والمرض والمصاعب العديدة لمدة سبعة شهور . وما ان طرقت سمعهم اخبار انتصارات العثمانيين في المعارك التي وقعت قرب الدجيل في تموز ١٧٣٣ حتى هب الناس لمساعدة الحامية العسكرية التي كانت تدافع عن المدينة وذلك بشن هجوم على القوة المحاصرة ودحرها .

كذلك الحال بشأن اهالي مدينة الموصل ، اذ تعاونوا مع والي المدينة في ايلول ١٧٤٣ ، فجهز الوالي جيشا شعبيا بحوالي الف مقاتل من الخيالة ، دخل في معركة حامية مع الغزاة ، وافلحوا في ردهم واجبارهم على سحب قواتهم . كما دافع الاهالي عن مدينتهم ازاء القصف المدفعي

عن طريق متابعة اصلاح وترميم ما تهدمه المدافع .

وكان موقف اهالي مدينة البصرة اثناء الحصار الذي استمر حوالي ثلاثة شهور مماثلا لتلك المواقف ، وقد اذن صمود اهل المدينة لهجوم الغزاة في اب ١٧٤٣ ومقاومتهم له الى افشال خطة احتلال المدينة ، واجبار القوات الفارسية على الانسحاب .

ان هذه الصور والنماذج المنتخبة من مقاومة المدن العراقية لتحديات الغزو العسكري الاجنبي في التاريخ الحديث هي نماذج حية عن مقاومة المدن العربية. وان التاريخ الحديث والمعاصر يحدثنا كثيرا عن نماذج اخرى من المدن العربية المقاومة لتحديات الغزو في سوريا وفلسطين واليمن ومصر وليبيا والجزائر واجزاء اخرى من الوطن العربي . اد اثبت اهالي هذه المدن بمختلف الشرائح الاجتماعية والاقتصادية على انهم قوة لا يستهان بها للوقوف بوجه المحتلين بالرغم من عدم تكافؤها من حيث المقدرات العسكرية والتنظيم والاسلحة مع جيوش الغزاة والمستعمرين. لكن المدينة بقوتها الشعبية وبما كانت تحمله من سلاح الايمان وقوة العزيمة في النود عن استقلالها افلحت في رد دول عظمى والحاق الهزيمة بها . انها استطاعت ان تحقق الانتصار في الجزائر وليبيا وفلسطين وسوريا واليمن بفضل ما قدمته من تضحيات كبيرة وبفضل الحاحها في المقاومة وعدم تساوئها مع الغزاة الاجانب بما

امتلكته من اسلحة الصبر والايمان والاستبسال في
شتى المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية
والمسكوية .

الهوامش

- (١) انظر
(1) Ashely: "The beginnings of towns life in the Middle Ages" in QJE (1896) p. 374; 382
Hammond, M: The City in the Ancient World (1962) p. 70; Max Weber: The City (1955) p. 8.
- فوستيل دي كولانج : المدينة العتيقة [ت عباس بيومي]
مصر ص ١٧٦ - ١٧٧ .
- (٢) انظر الجوهري : الصحاح (مادة مدن) ؛ الفيروزآبادي
القاموس المحيط (مادة مدن) ؛ ابن منظور : لسان
العرب (مادة مدن) ؛ الزبيدي تاج العروس (مادة
دين) .
- (٣) الجوهري : الصحاح (مادة حضر) ؛ الزمخشري . اسام
البلاغة (١٩٦٥) ص ١٣٠ .
- (٤) ابن خلدون : المقدمة [بيروت - دار الفكر] ص ٢٧٢ .
- (٥) ن . م .
- (٦) ن . م . ص ٢٧٥ .
- (٧) انظر اليمتوبي : البلدان [ط/اوربيسة] ص ٢٣٤ ،
٢٥١ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك (دار المعارف)
ج ٧ ص ٦٥٢ - ٦٥٣ ؛ الخطيب البغدادي : تاريخ
بغداد ج ١ ص ٧٩ - ٨٠ .
- (٨) ابن حوقل : صورة الارض ١٠٧ . (٨ب) ابن خلدون
ص ٢٧٢ .

(9) Max Weber: The City p. 81; S.M. Stern: "The Constitution of the Islamic City" in Islamic City (Oxford 1970) p. 37, 40.

(١٠) انظر ابن منظور : لسان العرب [مادة دين] : الزبيدي :
تاج المروس [مادة دين] : الحاكم النيسابوري :
المستدرک علی الصحیحین [بیروت] ج ٤ ص ٥٧٥ .

(١١) مسند الامام احمد بن حنبل ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(١٢) انظر علی سبیل المثال بحث ما سینیون : Sinif

فی دائرة المعارف الاسلامیة (ط / قديمة) ، كذلك

• B. Lewis فی بحثه .

"The Islamic Guilds" in E.H.R. (1931) p. 20.

(١٣) انظر کتاب سوفاجیه القيم (Alep) باریس ١٩٤١ :
کذلك کتاب

The World of Islam (1950) الموسوم Xavier de Planhol
p. 7, 8, 18-19.

(١٤) انظر Planhol ص ٧ ، ٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، كذلك

البرت حورانی فی بحثه

The Islamic City p. 13-14.

(١٥) انظر

(15) Stern: "The Constitution..." pp. 29-30; F. Benet:
"The ideology of Islamic Urbanization" in Inter-
national J. of Comparative Sociology (1963)
p. 211-26.

(١٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(١٧) ن . م ص ٢٧٦

(١٨) ن . م ص ٢٧٦

(١٩) ن . م ص ٢٧٧

(٢٠) ن . م

(٢١) انظر طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة
ج ١ ص ٩٨ - ١١٤ ، ١٤٤ كذلك الجزء الاول المتعلق
بالعراق خلال المصور القديمة ج ٢ ص ٢٩ ، ٣٠ ايضا
مقالات Athens, Nineveh, Babylon في دائرة
المعارف البريطانية .

(٢٢) انظر نص المراثية التي ترجمها د . فوزي رشيد :
العمق التاريخي للاعتداءات الايرانية على العراق ،
[مجلة افاق عربية] نيسان ١٩٨٢ مجلد ٨
ص ٩ - ١٥ .

(٢٣) طه باقر : مقدمة ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٢٤) ن . م ج ١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، ٤٠٢ ؛ طه باقر
واخرون : تاريخ ايران القديم (بغداد ١٩٨٠) ص ٤٨ ،
٤٩ ؛ د . فوزي رشيد : العراق القديم واعتداءات
المنطقة الشرقية على حدوده [افاق عربية] عدد
٣ - ٤ / ١٩٨٠ ص ٢٢٨ .

(٢٥) طه باقر : المقدمة ج ١ ص ٢١٧ ؛ طه باقر واخرون :
تاريخ ايران ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢٦) طه باقر : مقدمة ج ٢ ص ٤٠٦ - ٤٠٧ ؛ طه باقر
واخرون : تاريخ ايران ص ٥٤ ، ٦٩ ؛ د . فوزي
العراق القديم [افاق عربية] ص ٢٣٠ .

(٢٧) طه باقر : مقدمة ج ٢ ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

(٢٨) طه باقر : مقدمة ج ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .
Walter, Hinz: The Lost World of Elam (Briton 1972)
p. 17, 18, 21, 22, 28.

(٢٩) طه باقر : مقدمة ج ٢ ص ٤٠٣ - ٤١٠ : باقر
واخرون : تاريخ ايران ص ٥١ - ٥٢ .

(٣٠) د . جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام
[ط ١٩٧٧/٢] ج ٢ ص ٤٣ - ٤٩ جرجي زيدان :
تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٤٠ - ١٤٨ .

(٣١) د . جواد علي : المفصل ج ٢ ص ٢١ ، ٣١ ، ٣٢ ،
٤٩ : فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين
ج ١ ص ٣٠٠ - ٣٠٤ .

(٣٢) د . جواد علي : المفصل ج ٢ ص ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٤ ،
١٢٦ جرجي زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام
ص ٧٥ - ٧٨ .

(٣٣) د . جواد علي : المفصل ج ٢ / الدولة الحميرية :
د . صالح احمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب
قبل الاسلام ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ : اوليري : جزيرة
العرب قبل محمد [الفصل السابع] .

(٣٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك [ت محمد ابو الفضل
ابراهيم / دار المعارف بمصر] ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٦ .
(35) H. Pirenne: Medieval Cities (Princeton 1923)
p. 15, 20, 76.

(٣٦) عن الابله قديما انظر د . جواد علي : المفصل
[بيروت ١٩٧٠] ج ٢ ص ٢٠ - ٢١ : كذلك مقالة
(Ubullu) في دائرة المعارف الاسلامية (ط/ قديمة) .

(٢٧) انظر حول النصوص التي احتوتها رسائل الخليفة
(رض) في : البلاذري : فتوح البلدان ج ٢ ص ٣٣٦ ،
٣٤١ : الطبري : تاريخ الرسل ج ٤ ص ٤١ : ابن
عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب [تحقيق عبدالمنعم
حامر] ص ١٨٣ .

(٢٨) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ص ١٣٢ ، ١٣٣ : ياقوت
الحموي : معجم البلدان [ط بيروت] ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٣٩) الناصري : الاستقصا لاخبار المغرب
الاقصى ج ١ ص ٧٨ : ياقوت الحموي : معجم البلدان
ج ٤ ص ٤٢١ : ابن عذاري : البيان المغرب في اخبار المغرب
ج ١ ص ١٩ .

(٤٠) القلقشندي : صبح الاغشى في صناعة الانشا ج ٣
ص ٣٣٣ - ٣٣٤ ، كذلك ياقوت الحموي : معجم
البلدان ج ٤ ص ٢٦٥ .

(٤١) القلقشندي : صبح الاغشى ج ٣ ص ٣٣٤ .

(٤٢) الحميري : الروض المطار في خبر الاقطار [بيروت
١٩٧٥] ص ١٧٢ ، ٥٦١ .

(٤٣) ن . م . ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٤٤) ابن حوقل : صورة الارض ص ١٦٣ : عن القرامطة
وحلب الطبري : تاريخ ج ١٠ ص ١٠٤ ، انظر ايضا
مقالة (Halab) من (2) E. I. بقلم سوفاجيه ومقالة

(Hamdanids) بقلم Canard

(٤٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ ص ٥١ .

(٤٦) انظر الطبري : تاريخ ج ٨ ص ٤٦ .

(٤٧) ثابت بن سنان : اخبار القرامطة [تحقيق سهيل
زكار ١٩٧٠] ص ٣٠ : مسكويه : تجارب الامم ج ١

- ص ١٠٦ - ١٠٧ : ابن الجوزي : المنتظم ج ٦
 ص ١٧٣ - ١٧٤ .
- (٤٨) انظر الطبري : تاريخ ج ٩ ص ٤٧٠ ، ٤٧٢ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، د . عبد الجبار ناجي : «دوافع
 اطماع قرامطة البحرين في السيطرة على البصرة»
 في مجلة كلية الاداب / ١٩٧٢ ص ٦٠ - ٧٠ .
- (٤٩) مسكويه : تجارب الامم ج ١ ص ٢٧٧ : ابن الجوزي :
 المنتظم ج ٦ ص ٢٦٨ .
- (٥٠) مسكويه ج ١ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ، ٣٥٣ : ج ٢ ص ٩٩ ،
 ٣٦٧ - ٣٧١ .
- (٥١) الطبري : تاريخ ج ٧ ص ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ :
 المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١١٩
 الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٧٠ .
- (٥٢) الطبري : تاريخ ج ٧ ص ٦١٧ .
- (٥٣) ن . م . ج ٧ ص ٦١٦ .
- (٥٤) مسكويه : تجارب ج ٢ ص ٨٩ - ٩١ : ابن الجوزي :
 المنتظم ج ٦ ص ٣٤٩ .
- (٥٥) مسكويه : تجارب ج ٢ ص ٨٦ .
- (٥٦) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ص ٢٩ ، ٤٩ ، ٥٦ .
- (٥٧) مسكويه : تجارب ج ٢ ص ٣٢٨ .
- (٥٨) ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ ص ١٧٢ .
- (٥٩) مسكويه : تجارب ج ٢ ص ٣٠٤ ، ابن الجوزي - المنتظم
 ج ٧ ص ٥٩ - ٦٠ .

- (٦٠) انظر ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ ص ٧٤ ، ١٥٢ ج ٨ ص ٥٠ ، ٥٤ ، ٧٥ ، ٧٦ .
- (٦١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ ص ١٢١ .
- (٦٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ ص ١٢٧ .
- (٦٣) ن . م . ج ٨ ص ٥٠ .
- (٦٤) ن . م . ج ٨ ص ٥٧ .
- (٦٥) ن . م . ج ٨ ص ٧٥ .
- (٦٥ ب) ن . م . ج ٨ ص ٤٧ .
- (٦٦) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ص ٨٢ .
- (٦٧) انظر ابن المبري : تاريخ مختصر الدول (بيروت ١٩٥٨] ص ٢٧٢ : الحوادث الجامعة : منسوب لابن الفوطي [بغداد ١٣٥١] ص ٢٢٩ : جامع التواريخ (القاهرة ١٩٦٠ تفريب الصياد [م ٢ ج ١ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .
- (٦٨) انظر مقاومة اهالي مدينة بغداد لهجوم هولاكو الذي رافقه جيش ضخم من المغول البالغ اكثر من مائة الف عدا المشاة محمد صالح القزاز : الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغوليية (نجف ١٩٧٠) ص ٩٧ - ١٠٣ .
- (٦٩) انظر عباس المزوي : العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٣٣ : لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث [بغداد ١٩٦٨] ص ٣٣ ، ٣٤ : د . علام

موسى كاظم نورس : حملة نادر شاه على بغداد ،

مجلة المورد / عدد ٤ / ١٩٧٩ من ٩٦ - ١٠١ .

(٧٠) سليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٧٤ ، ٢٧٩ ،

٢٨٢ ؛ د . عماد عبدالسلام : الموصل في العهد

العثماني [النجف ١٩٧٥] ص ١٠٤ ، ١٠٥ - ١٠٨ ؛

يذكر د . علام نورس ان نص الخطاب موجود بعالته

المخطوطة في مكتبة الدراسات العليا / بغداد برقم (٤٤)

انظر الصراع العثماني - الفارسي واثره في العراق

حتى اواخر القرن الثامن عشر ، في الحدود الشرقية

للوطن العربي [بغداد] ص ٤٧ - ٧١ .

(٧١) كما اوردها د . علام نورس في الصراع العثماني -

الفارسي ، ص ٦٤ [نص الرسالة موجودة في مكتبة

الدراسات العليا في بغداد برقم (٣٠٩) .

رقم الايداع ٦٥٦ في المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٨٨

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٨٨

السعر ٧٥٠ فلساً

الغلاف: رياض عبد الكريم

طبع في مطبع دار الشؤون الثقافية العامة